جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب و اللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالب:
بن يحي بثينة

يوم:19/06/2023

الغموض في شعر "رمضان حمود"
"نماذج مختارة"

لجنة المناقشة:

سامية راجح	أ. د.	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
إبتسام دهينة	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مشرفا ومقررا
مريم قرين	أ. مح ب	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية : 2023/2022

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مقدمة

الغموض ظاهرة تقليدية نقدية تناولتها الدراسات قديما وحديثا، كان الجدل حولها كبير وواسع بين من يرغب بها وبين من يرغب عنها، فكل فئة تراها من جهتها، الأولى تراها ميزة جمالية تميز الشعر عن الخطاب، أما الثانية فتنظر إليها كعامل مخل بالعملية الإبداعية.

تميزت النصوص الشعرية الحديثة بالغموض إذ أصبحت سمة غالبة في الشعر المعاصر وأحدثت قطيعة على القديم الذي كان يعنى بالشكل القائم على النظام العمودي والوزن الخليلي، حيث نجدهم اهتموا بالشكل على حساب المضمون، وهذا يجعلهم يبتعدون عن عمق التجربة الشعورية، ظلت هذه العقلية تعيش في رتابة إلى أن هبت رياح الحداثة والتجديد، فأحدثت ثورة على القديم، وهي ثورة إبداعية ارتكزت على مبدأ التغيير والتجديد، غيرت المفاهيم الكلاسيكية وجعلت الجمال الحقيقي في اللغة والمعاني المتحولة باستمرار والمقاربة من الوضوح والمستعصية على الفهم، محطمة النموذج المألوف والشكل السائد.

ومن الشعراء الذين رحبوا بفكرة التجديد والتغيير والثورة على الوزن والقافية "رمضان حمود" أحد رواد التجديد في الجزائر استطاع من خلال شعره وسلسلة مقالاته النقدية أن يطرح أفكاره التجديدية من بينها ترك اللغة القديمة ودعا إلى لغة تواكب العصر الذي نعيش فيه وعلى هذا الأساس جاء بحثي موسوما بالغموض في شعر "رمضان حمود".

وكما نعلم لكل باحث أسباب تدفع به لاختيار بحثه وكشف خباياه، منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي، وهكذا كان الحال مع موضوعي فمن بين الدوافع والأسباب التي قادتني إلى اختيار هذا البحث أسباب ذاتية نلخصها في:

رغبتي في الاطلاع على الشعر الجزائري وتبيان قيمته وموضوعاته، أما الأسباب الموضوعية فتلخصت في:

تتبع ظاهرة الغموض في الشعر الجزائري المعاصر وتحديدا في شعر رمضان حمود.

وحسب اطلاعي لم أجد دراسات كثيرة تتحدث عن الغموض في شعر "رمضان حمود"، ومن الأهداف المرجوة من وراء هذا البحث هو السعي إلى أن تكون إضافة جديدة وذلك من خلال تتبع ظاهرة الغموض في الشعر الجزائري عند "رمضان حمود" الذي لم ينل حقه من الدراسة.

وهذا ما قادنا إلى طرح عدة تساؤلات:

- ما المقصود بظاهرة الغموض؟
- وما هي مظاهرها قديما وحديثا؟
- كيف تجلت في المضامين الشعرية «لرمضان حمود"؟

وعلى هذه الإشكاليات قسمت بحثي إلى فصلين تسبقها مقدمة ومدخل عام حول ظاهرة الغموض، وفي الأخير خاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها، وملحق ضمنت فيه حياة الشاعر واهم آثاره وأعماله.

تناولت في المدخل: ماهية الغموض، مفهومه ومظاهره عند الغرب والعرب، أما الفصل الأول الموسوم بـ: **المضامين الشعرية عند رمضان حمود** وقد تم التطرق فيه إلى: أهم المضامين التي صورها الشاعر الثورية والإصلاحية والتجديدية، والفصل الثاني تضمن الصورة الشعرية وجمالياتها في شعر رمضان من خلال لغة الشاعر وكذا التشبيهات والاستعارات والرمز بأنواعه والألوان ودلالاتها التي وظفها الشاعر كمعادل لذاته ليصور نزعته ومذهبه الشعري.

وخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها، مستندة في ذلك إلى مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها:

- محمد ناصر "رمضان حمود" حياته وآثاره
- صالح خرفي "رمضان حمود"
- عز الدين إسماعيل الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية

وقد اقتضت طبيعة البحث الاعتماد على المنهج الوصفي بغية الوصول إلى رؤية تحليلية توصلني إلى قراءة ما يرمي إليه الشاعر.

وكطبيعة كل بحث علمي واجهتني مجموعة من الصعوبات في إنجاز هذا البحث كقلة الدراسات عن الشاعر في مجال الشعر تحديدا، ولكنها ذللت بتمام البحث على هذه الشاكلة وفي الأخير لا يسعني إلا أن أقدم الشكر لأستاذتي المشرفة الدكتورة ابتسام دهينة التي لم تبخل على بالنصح والتوجيه فلها مني جزيل الامتنان.

مدخل: ماهية الغموض

أولا: مفهوم الغموض

ثانيا: الغموض عند النقاد الغربيين

ثالثا: مظاهر الغموض في الشعر العربي القديم

رابعا: مظاهر الغموض في الشعر العربي الحديث

مدخل: ماهية الغموض

أولا: مفهوم الغموض

للغموض عدة تعريفات، فقد عرف عند الشعراء القدامى لا سيما في الشعر العباسي ورد في قاموس لسان العرب: «غَمَضَ المكان وغَمُضَ المكان وغمَضَ الشيء وغمُضَ الشيء وغمُض يغمُضُ غموضًا فيهما، خفي اللحياني غمض فلان في الأرض يغمض ويغمِضَ غموضًا إذا ذهب فيها وقال غيره أغمضت الفلاة على الشخوص إذا لم تظهر فيها لتغيب الآل إياها وتغييبها في غيوبها.

والغامض من الكلام خلاف الواضح ويقال للرجل الجيد الرأي قد أغمض النظر أو جاء برأي جيد وأغمض في الرأي: أصاب ومسألة غامضة فيها نظر ودقة ومعنى غامض لطيف»[1]

وجاء في قاموس المحيط الغامض المطمئن من الأرض ج كالغمض ج غموض وأغماض وقد غمض المكان غموضا وككرم ونصر غموضة وغموضا والخامل الذليل[2]

من خلال التعريفات السابقة نستنتج بأن معنى الغموض بأنه الإبهام والإخفاء وبمعنى آخر هو إخفاء الحقيقة فيما يتعلق بالمشاعر والأحاسيس.

ثانيا: الغموض عند النقاد الغربيين:

بعض التعاريف لظاهرة الغموض عند النقاد الغربيين، فقد كان الشاعر والناقد الإنجليزي ويليام إمبسون WILLIAM EMPSON أبرز من تناول ظاهرة الغموض في الشعر بدرس مستفيض في كتابة سبعة أنماط من الغموض[3]

والغموض من طبيعة كل شعر، درس "كوهين" الغموض عند ملارميه.

---

[1] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب المجلد 4، د ط، دار صادر بيروت، لبنان 1992، ص200-201

[2] الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، قاموس المحيط، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 986، ص7

[3] مريم حمزة، غموض الشعر ومصاعب التلقي، ط1، مؤسسة الرحاب الحديثة، لبنان بيروت، ص22

يرى "تيرز" «أنه من النادر أن يقع الغموض بسبب من صيغة الكلمة ولكنه يقع بسبب تعدد معنى الكلمة نتيجة للتطور الدلالي أو الاستعمال المجازي فالكلمات التي تدل على الأشياء غير الحسية هي التي تسبب الغموض غالبا»[1]

ويعرف "بالمر" Palmer الغموض بأنه: «عدد من القراءات لجملة ما»[2]

أما ووردوف Wardhagh فيرى: «أن الغموض هو الصفة التي تجعل للحدث اللغوي معنيين مختلفين على الأقل»[3]

من خلال هذه التعريفات نلحظ بأن النقاد الغربيين ينحصر الغموض عندهم في تعدد المعنى وكثرته.

أما عند النقاد والدارسين العرب نجد "عز الدين إسماعيل" الذي يعتبر من أوائل النقاد الذين عالجوا قضية الغموض في مبحث خاص (المصطلح الجديد وظاهرة الغموض)[4]

ويعرف الغموض بأنه: «الغموض صفة خيالية تنشأ قبل مرحلة التعبير المنطقية أي قبل مرحلة الصياغة اللغوية النحوية»[5]

وأدونسين يدافع عنه فيقول: «يصفه جوهرا أصيلا فيه ينشأ من اعتماد الشعر لغة مجازية خيالية، تعبر عما تعجز عنه اللغة النثرية العادية –فهو تحصيل حاصل بحيث أن الشعر يحاول تجسيد رؤيا وتجربة وانفعال ويكشف عالما في حاجة دائمة إلى الكشف، وهو عالم مضطرب لا منطقي لا سبيل إلى صياغته إلا بالرمز الأسطوري، بالشعر بما هو معرفة خاصة أو ميتافيزيقا الكيان الإنساني»[6]

---

[1] إيليا الحاوي، في النقد والأدب، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1950، ص6

[2] حماد محمد، الغموض في الدلالة أنماطه وعوامله ووسائل التخلص منه في اللغة العربية المعاصرة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، دار العلوم القاهرة، 1960م، ص34

[3] المرجع نفسه من 34

[4] عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط1، دار الثقافة، بيروت، ص187، 1994

[5] المرجع نفسه

[6] أدونسين، زمن الشعر، ط6، مزيدة ومنقحة، دار الساقي، 2006، ص10–20

ثالثا: مظاهر الغموض في الشعر العربي القديم

كانت ظاهرة الغموض ميزة شعراء العرب قديما فقد كانت لا تخلو من أشعارهم، عرف بها كل من أبي تمام والمتنبي واعتبر شعرهم مفسدة لكلام العرب، فقد استخدموا الجانب السلبي لظاهرة الغموض (الإبهام)، وكان شعر أبي تمام (لم تكتب ما لا يفهم؟) ومع ذلك كانت هناك مجموعة ترى أن الغموض خاصية شعرية ناجمة عن طبيعة الشعر التي تختلف عن كلام الخطابي

1/مظاهر الغموض في الشعر الجاهلي:

1-1الأسطورة:

كان الشعر الجاهلي غني بالأساطير التي كانت منتشرة في ذلك الوقت حيث تعتبر الأسطورة مصدر من مصادر الغموض في الشعر الجاهلي، بحيث ارتبطت الأسطورة بحياتهم الاجتماعية، وظهرت تجليات تلك الأساطير على شكل ممارسات أو عادات سحرية وطقوس وثنية أو عناصر بطولية ترمز إلى تقاليد موروثة تضرب بجذورها إلى مئات السنين.

ومن شعر الغموض، يقول إمرؤ القيس:

مرسعة وسط أرباعه به عسم يبتغي أرنبا

ليجعل في كفه كعبها حذار المنية أن يعطيا[1]

«كانوا يقولون في الجاهلية من علق عليه كعب أرنب لم يصبه عين ولا سحر وكانت عليه واقية من الجن لأن الجن تهرب منها للحيض ولا تمتطيها، ويقال رجل مرسع ومرسعة وهو الفاسر العين ويروى مرسعة بين أرساغه من الترسيع»[2]

[1] إمرؤ القيس –الديوان– ط1، دار المعرفة، بيروت لبنان، 2008، ص80

[2] ابن قتبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم، المعاني الكبير في أبيات المعالي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، المجلد1، ط1، 1984، ص212

معرفة الجاهلين للأسطورة والقول بها لا مجال شك فيه والدليل على ذلك عند سماعهم القرآن الكريم يتنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم اتهموه بنقل ونسخ الأساطير «وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا»[1]

1-2 الرمز:

الرمز متحول من الكناية لكنه يتناول دلالة لا تخضع للمعرفة المباشرة وإنما يكسب تفسيره من النص نفسه «راج استعمال الرمز في الشعر الجاهلي وكثر استعماله في أشعار العرب القدامى كالليل في شعر امرؤ القيس وما يرمز إليه من هموم ورزايا، وكذا القمر في شعر الغزل والنسيب وهو رمز للجمال والبياض وغيرها من الرموز ...»[2]

وأبيات الشاعر الذي وقع أسير بأيدي أعدائه وقد بعث بأبيات إلى قومه يحذرهم من الغزو وينصحهم أن يرحلوا عن الصحراء يقول:

حلوا عن الناقة الحمراء أرحلكم والبازل الأصهب المعقول فاصطنعوا
إن الذئاب قد اخضرت براثنها والناس كلهم بكر إذا شبعوا

نجد الشاعر هنا يرمز إلى الأعداء بالذئاب والى الفلاة بالناقة الحمراء.

1-3 الصورة الفنية:

هي ضرورية على مستوى القصيدة، بحيث يتفق النقاد على وظيفة الصورة وما تؤديه من إيضاح وكشف وإبانة، ولكن قد يفصل الشاعر بين أجزاء الصورة فينسى وينسى القارئ معه القصد ويعدل عما أراده ثم يعود لك باحترافية وقد عبر عنه الناقد عبد المالك مرتاض «اللعب باللغة في الكلام» ويستدل بذلك ببيت امرئ القيس،

كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل[3]

---

[1] سورة الفرقان، الآية 5، ص360

[2] محمد مصطفى تريكي، شعرية الغموض في الخطاب النقدي المعاصر بين إشكالية الوعي والوعي المضاد، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان،2014، ص93

[3] امرؤ القيس، ديوانه، ط1، دار الغد الجديدة، القاهرة، 2016، ص95

«فقد وقع الفصل بين المشبه والمشبه به بسمات كثيرة حتى كاد المتلقي ينساه»[1]

ينتج غموض الصورة، عن انصهار المعنوي في الحسي فيتعسر الفهم، إذ الحقيقة المجردة لا تكفي الشاعر للإفصاح عن نفسه فيستخدم الخيال لتحقيق مبتغاه.

وأهمية الصورة تنبع من أسلوبها وطريقتها المميزة في عرض المعنى وإيصاله إلى المتلقي، قد تعجز اللغة العادية عن إيصاله، أما إذا عدلت عن وظيفتها الأساسية اكتنفها الغموض وعسر فهمها.

2/الغموض في عصر بني أمية

كان مجيء الإسلام والقرآن الكريم له أثر كبير في الشعر بحيث أصبحت هناك جدية في الأفكار وترتيبا للمعاني، ونتيجة لحياة الترف والنعيم الذي أصبح عليه الشعراء تمكنوا من ابتكار الأفكار والأقوال لاختلاطهم بالأمم الأخرى والفتوحات، هذا لم يمنع بعض الشعراء أن يستمدوا أفكارهم من الجاهلين «وإن بدت أبيات غامضة لعوامل متعددة وسنة التطور التراكمي للفكر وتنامي الجمال تتجلى معالمها في عصر بني أمية»[2]

وتجلى الغموض في عدة صور منها:

2-1 الصورة:

قول قيس بن الملوح:

وليس الذي يجري من العين ماؤها ولكنها نفس تذوب وتقطر

«إن القارئ لبيت قيس بن الملوح يشتم فيه رائحة الغموض ما يدعوه للتساؤل فكيف يعقل للنفس وهي معنوية أن تذوب وتظهر قالب فني حسي؟»[3]

الشاعر هنا استخدم خدعة الخيال الجامح ليخدع القارئ بطريقة محببة بحيث كان وقعها حسن وتكمن المتعة في اكتشافه وفهم معانيه.

---

[1] عبد المالك مرتاض، قضايا الشعريات، ط1، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، 2009، ص196

[2] مسعد عبيد العطوي، الغموض في الشعر العربي، ط2، مكتبة الملك فهد الوطنية، أثناء النشر، الرياض،19، ص52

[3] محمد مصطفى تريكي، شعرية الغموض، ص24

2-2 ضعف الصياغة والتعقيد:

عرف شعراء بني أمية بضعف الصياغة والتعقيد مثل قول:

إلى مالك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره

فاذا لم يدرك القارئ الترتيب الأصلي للألفاظ غاب عنه المقصود فإذا عرف أن المشاعر قدم وأخر وكان قصده: «إلى ملك أبوه من محارب ما أمه، زال الغموض واتضح المعنى»[1]

3/الغموض في الشعر العباسي

من مظاهر الغموض في الشعر العباسي

3-1 التعقيد وغموض المعاني:

اعتبرت ظاهرة الغموض نقيصة وعيب لازمت العديد من شعراء العباسيين أمثال أبي تمام والمتنبي، وكان هذا الأخير أكثرهم استعمالا للغموض «وقد عد القاضي الناقد هذا المظهر أحد عيبين نالا كثيرا من تفوق شعر التعقيد وبعد الاستعارة»[2]

يقول المتنبي:

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه[3]

علق الجرجاني على هذا البيت الذي رأى فيه فساد النظام «ومن يرى هذه الألفاظ الهائلة التعقيد المفرط فيشك أن وراءها كنزا من الحكمة»[4] .

[1] محمد مصطفى تريكي، المصدر السابق، ص66

[2] عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، ط9، دار الوعي للنشر والتوزيع، 2012، ص288

[3] المتنبي، الديوان، ط5، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2008، ص202

[4] أبو الحسن علي بن عبد العزيز الشهير بالقاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، شرح وتصحيح أحمد عارف الزين، دط، مطبعة العرفان، صيدا، 1331هـ، ص83

3-2 التكثيف والحشد:

من نظام الغموض في الشعر العباسي تكثيف المعنى «حين يجهد الشعراء أنفسهم في صناعة الشعر، حتى أن البيت لا تجد فيه لفظة غريبة، لكنه يجمل التأويلات المختلفة لكثرة مدلولات هذه اللفظة»[1]

وكثرت هذه التأويلات في أشعار أبي تمام والمتنبي، ويقول المتنبي:

سريت إلى جيجان من أرض آمد ثلاثا، لقد أدناك ركض وأبعدا

ويعلق الناقد على التكثيف الذي ورد في هذا البيت فيقول: «وفق الشاعر بين الدنو والنأي ليولد معنى الشجاعة، لكنه كثف المعنى وأخمر دلالته بحيث يلتبس علينا حينا فلا ندرك كيف أن الركض ذاته يؤدي إلى نتيجتين متناقضتين البعد والقرب» [2]

رابعا: مظاهر الغموض في الشعر العربي الحديث

1-غموض الرمز:

الرمز من أهم ما ورد في الشعر العربي الحديث والمعاصر ومن الموضوعات الأكثر شيوعا ويعني الإشارة والعلامة ونأتي على تعريفه:

«علامة العلامة، أي العلامة التي تنتج قصد النيابة عن علامة أخرى مرادفة لها»[3]

فالرمز يعبر به الإنسان عما يجول في قريحته وما تحتويه ذاته ويتم التعبير عن هذ بالإيحاء لإتمام الفكرة التي يريد الإنسان إيصالها إلى الآخر، «فالسلحفاة رمز للبطء، والأفعى رمز للغدر ...»[4]

[1] مسعد بن عبيد العطوي، الغموض في الشعر، ص87

[2] إيليا الحاوي، العصر العباسي، ج3، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980، ص229

[3] حبيب مونسي، نظريات في النقد المعاصر، دط، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر، 2007، ص100

[4] المرجع نفسه، ص101

«ويرجع الرمز إلى أصول دينية أو تاريخية أو علمية، أما الرومانسيون فقد اتخذوا من عناصر الطبيعة رموزا للتعبير عن التجربة الفنية فتصبح الطبيعة أساسا لصياغة الأفكار ويصبح الغموض مطلب يسعى إليه الشاعر»

«ومن أشهر دعاة هذا الاتجاه الرمزي "الشاعر اللبناني أديب مظهر" الذي كان يرمي من خلال شعره إلى التخلص من رواسب الشعر القديم، وسار على نهجه الشاعر سعيد عقل الذي يرى أن الشعر الحقيقي ينبثق من اللاوعي في تكوينه وخلقه»[1]

والرمز أنواع: ديني، طبيعي، تاريخي، أسطوري.

1-1 الرمز الديني:

لا يكاد يخلو أي شعر معاصر من الرمز الديني بحيث نجده له حضور قوي في القصائد المعاصرة «أحس الشعراء من القديم أن ثمة روابط وثيقة تربط بين تجربتهم وتجربة الأنبياء، ولكل منهما رسالة تجاه أمته والفارق أن رسالة الأنبياء سماوية وأكثر شخصيات الرسل شيوعا في شعرنا المعاصر محمد وعيسى وأيوب ونوح -عليهم السلام-... »[2]

ونجد الشاعر سميح القاسم يستلهم شخصية النبي صلى الله عليه وسلم في قصيدته 30 آذار يقول:

عاود الروم والفرس كراهم
لحمنا نـهب أنيـابهم
فاخرجوا من شراييـنكم
آن يـا إخوتي
أن نبعث الثائر المصطفى

«وجد الشاعر في شخصية الرسول ما سينجم مع موقفه ورؤيته للصراع بين قوى الحق والباطل الموقف الذي ينبع من رغبته في السلام العادل»[3]

[1] ينظر، جلال عبد الله خلف، الرمز في الشعر العربي، مجلة ديالي، العدد الثاني والخمسون، 2011، ص11

[2] ينظر علي عشري الزايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997، ص77-78

[3] ينظر، عزت مال إبراهيمي، محمد سالمي، صديقة تاج الدين، مجلة القسم العربي، العدد 24، 2017، ص142

1-2 الرمز الطبيعي:

يوحي بالطاقة الإيجابية وذا قيمة جمالية عن بقية الرموز عرف به الرومانسيون فقد اتخذوا الطبيعة مادة لموضوعاتهم، «والشاعر المعاصر في تعامله الشعري مع عناصر الطبيعة إنما يرتفع باللفظة الدالة على العنصر الطبيعي كلفظة المطر مثلا من مدلولها المعروف إلى مستوى الرمز لأنه يحاول من خلال رؤيته الشعورية أن يشحن اللفظ بمدلولات شعورية خاصة به»[1]

وتوجد عدة رموز للطبيعة التي استخدمها الشعراء: البحر، الريح، المطر، الشمس... والريح له ارتباط قوي بالدمار والهلاك، قوله تعالى: «**وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية**» الحاقة-الآية 6

ومن نماذج استخدام الرمز الطبيعي الرمل عند الشاعر يحمل «دلالات متعددة متحركة في سياق النص المكثف بإيحاءات الرموز الطبيعية كالشجر-الماء-الأرض-الأزهار-الغيوم...»[2]

والرمل هو الرمل
أرى عصرا من الرمل يغطينا
وقاع الرمل في الرمل
وأغيب الآن في عاصمة الرمل[3]

1-3 الرمز التاريخي:

من خلال الرمز التاريخي استطاع شعراء العصر الحديث أن يربطوا مجد الأمة العربية بالحاضر، وذلك من خلال توظيف مجموعة من الشخصيات التاريخية مثل: خالد بن الوليد،

[1] عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص60

[2] إبراهيم رماني، الغموض في الشعر العربي الحيث، ص 60.

[3] محمود درويش، الديوان، ط8، دار العودة، بيروت، 1981، ص609

عنتر بن شداد، الحجاج بن يوسف في الأعمال الشعرية «ما يدفع المتلقي إلى قراءة هذا التراث في حلة جديدة تعكس واقعا معاشا وتجربة شعورية حديثة الولادة»[1]

بحيث العودة إلى الماضي تعد جزء مهما في حداثة القصيدة العربية، وتلعب دورا هاما في المحافظة على التراث والتاريخ يقول محمد درويش:

نعرف القصة من أولها

وصلاح الدين في سوق الشعارات وخالد

بيع في النادي المسائي بخلخال امرأة [2]

وينتج الغموض من خلال استحضار الشاعر للشخصيات التراثية ويجب النقاد «بأن الشاعر لم يحسن تمثيل الشخصية التي يستخدمها ولم يستطع أن يستوعب جيدا دلالتها التراثية»[3]

وبتوضيح أكثر أن بعض الشعراء يستخدمون أو يوظفون شخصيات تراثية لاستعراض ثقافتهم لا غير، وبذلك تصبح مجرد لافتات بحيث يصعب على الشعراء المزج بين الحالة النفسية والشخصية التراثية، والمبالغة في استحضار الشخصيات التراثية «كانت من أبرز المزالق التي يسقط فيها الشعراء الذين يبتدعون الشخصيات التراثية، خصوصا في البداية تكديس الموروثات وإثقال كاهل القصيدة بمجموعة من أسماء الشخصيات...»[4]

ولفهم المقصود من تلك الرموز يجب استدعاء الأبعاد التاريخية وأي خلل لدى القارئ في فهم دلالات تلك الشخصيات بضرورة سيحول دون فهمه للنص الشعري.

[1] أمحمد مصطفى تركي، شعرية الغموض، ص95.

[2] محمود درويش، ص 70.

[3] علي عشيري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص288

[4] علي عشيري زايد، المرجع السابق، ص287

1-4 الرمز الأسطوري:

استخدمت الأسطورة في الشعر العربي المعاصر بشكل كبير، وهي إدراج الشعراء المعاصرين الأفكار التراثية ذات المعنى الأسطوري في أعمالهم الشعرية، وذلك للتواصل الحضاري وربط الماضي بالحاضر من خلال استحضار بعض القصص أو الشخصيات التاريخية ومحاولة إسقاطها على الأحداث الجارية.

القراء للشعر العربي الحديث يجهلون الثقافة القديمة «الثقافة الأسطورية القديمة تكاد تكون عنصرا غائبا عن ثقافة المحدثين من قراء الشعر الجديد ونقاده على سواء، وأن الجهل بهذه الثقافة الأسطورية قد ساهم في خلق قناعة عامة لدى كثير من المحدثين بغموض الشعر الجديد بسبب إثارة الرموز الأسطورية على ما عداها من وسائل الرمز الأخرى»[1]

وللتوضيح أن القارئ للشعر العربي يجهل الثقافة الأسطورية والنقاد أيضا، بحيث هذه الميزة أدت إلى غموض الشعر العربي الحديث، وما يزيد حدة الغموض أن بعض الشعراء يقتبسون الأساطير الإغريقية القديمة استفزازا لمشاعر القارئ ولتباهي بالثقافة وسعة الاطلاع.

استخدم شعراء العصر الحديث الأسطورة القديمة العربية والإغريقية والسومرية والبابلية، ومن الرموز الأسطورية التي استعملوها: سيزيف، سندباد، عشتروت، وعنترة وعبلة وشهريار...

«إلى جانب ظهور هؤلاء الشخوص الأسطوريين نجد الشعراء يستلهمون بعض الأساطير التي هي تعبير قديم ذو معنى معين كاستلهامهم أوديب وأبي الهول أو قصة بينيلوب وأوليس»[2]

يعتبر توظيف الأسطورة في الأدب نثره وشعره ومحطة هامة لجأ إليها الشعراء ومادة خصبة بحيث أكسبته العديد من المعاني والدلالات النقدية التي جعلت من النص الأدبي يعرف طريقه إلى الجمالية النقدية والعالمية الفكرية.

وكان لترجمة "جبرا خليل جبرا" أسطورة أدونيس أو تموز 1957 ظهور بعض الحركات الثورية التي أحيت الأمل في النفوس ورغبتها في التحرر، فوجد فيها السياب ضالته المنشودة

[1] عبد الحليم محمد إسماعيل علي، ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2011

[2] عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص72

في التعبير عن مشكلاته الذاتية ومشكلات عصره، وحذا حذوه شعراء آخرون أمثال أدونيس من قصيدة البعث والرماد:

أحلم أن رئتي جهرة
يخطفني بخورها يطير بي لموطن
أعرفـه وأجهلـه
لبعلبك –مذبح،
يقال فيه طائر موله بموته
وقيل باسم غده الجديد باسم بعثه
يحترق
والشمس من رماده والأفق [1]

هذه الأبيات من قصيدة البعث والرماد «استدعى فيها أدونيس أسطورة طائر الفينيق الذي يحترق ليبعث هو أو طائر آخر من رماده، والواضح أن توظيف الأسطورة هنا أضفى على الأبيات إبهاما دلاليا لا يمكن أن ينكشف إلا لمن يعرفون هذه الأسطورة» [2]

[1] أدونيس، الآثار الكاملة، المجلد الأول، ط1، دار العودة، بيروت، 1971، ص251

[2] عبد الرحمان محمد العقود، الإبهام في شعر الحداثة، دط، سلسلة كتب ثقافية، عالم المعرفة، الكويت، يناير1978

الفصل الأول: المضامين الشعرية عند رمضان حمود

أولا. النزعة الثورية

1-مفهوم النزعة الثورية

1-1 مفهوم النزعة أ/لغة

ب/ اصطلاحا

1-2 مفهوم الثورة أ/لغة

ب/ اصطلاحا

1-3 النزعة الثورية في الشعر العربي الحديث

1-4 النزعة الثورية في شعر "رمضان حمود"

ثانيا: النزعة التجديدية

ثالثا: النزعة الإصلاحية

1-1-مفهوم الإصلاح أ/لغة

ب/ اصطلاحا

1-2 النزعة الإصلاحية في الشعر

الخلاصة

أولا. النزعة الثورية:

1-مفهوم النزعة الثورية:

1-1 مفهوم النزعة:

أ-لغة: ورد في لسان العرب **لابن منظور** في مادة (ن.ز.ع):

"نَزَعَ الشَّيْءَ يَنْزِعُهُ نَزْعًا، فَهُوَ مَنْزُوعٌ وَنَزِيعٌ، وَانْتَزَعَهُ فَانْتَزَعَ: اقْتَلَعَهُ فَاقْتَلَعَ، وَفَرَّقَ سِيبَوَيْهِ بَيْنَ نَزَعَ وَانْتَزَعَ فَقَالَ: انْتَزَعَ اسْتَلَبَ، وَنَزَعَ: حَوَّلَ الشَّيْءَ عَنْ مَوْضِعِهِ وَإِنْ كَانَ عَلَى نَحْوِ الِاسْتِلَابِ"[1]

ب-اصطلاحا:

تعرف النزعة «بأنها ميل واتجاه فطري أو نفسي إلى شيء»[2]

«تأخذ لفظة (النزعة) في المصطلحات العربية الراهنة للدلالة على المعجم الفكري، وترد بشكل عام مع كلمات متجاورة متقاربة بمعنى: نسق، نظام، فلسفي، نظرية، تيار، حركة»[3]

1-2 مفهوم الثورة:

أ/ لغة: جاء في مادة (ث.و.ر) عند **ابن منظور** ما يلي:

«ثور: ثَارَ الشَّيْءُ ثَوْرًا وَثُئُورًا وَثَوَرَانًا وَتَثَوَّرَ: هَاجَ، وَثَوَّرْتُهُ، وَثَوْرُ الْغَضَبِ: حِدَّتُهُ. وَالثَّائِرُ: الْغَضْبَانُ، وَيُقَالُ انْتَظِرْ حَتَّى تَسْكُنَ هَذِهِ الثَّوْرَةُ، وَثُئُورًا وَثَوَرَانًا: ظَهَرَ وَسَطَعَ جَشَأَتْ نَفْسُهُ إِذَا جَشَأَتْ أَلَ أَبُو مَنْصُورٍ: أَيْ: ارْتَفَعَتْ وَالثَّوْرُ: السَّيِّدُ»[4]

ب/ اصطلاحا: وتعرف بأنها: «تحول أو تغير أساسي في جانب من جوانب الحياة الاجتماعية أو الفكرية أو الصناعية»[5]

---

[1] أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (ابن منظور "لسان العرب")، تح عبد الله علي الكبير وآخرون، مج1 ب (النون)، م (نزع)، دار المعارف، القاهرة، مصر، (دت)، ص4395

[2] أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج(1)، ط1، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2008، ص2192-2193

[3] فضل سالم، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، رسالة ماجستير، كلية العلوم والآداب، جامعة آل البيت، 2004، ص58

[4] لسان العرب، مرجع سابق ص521

[5] أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ص336

1-3 النزعة الثورية في الشعر العربي الحديث

«ترجع جذور النزعة الثورية في الشعر العربي إلى شعراء الصعاليك حيث تميزت أشعارهم بثورة عارمة على الأغنياء والأشحاء»[1]

«وفي العصر الحديث تمثلها مدارس الرومانسية التي ثارت وحاولت التجديد في القصيدة العربية شكلا ومضمونا، وقد مهد لها رائد الكلاسيكية الجديدة في الوطن العربي "خليل مطران" الذي قال فيه (طه حسين): مطران ثائر على الشعر القديم ناهض مع المجددين»[2]

«وفي المغرب العربي تزعمها "أبو القاسم الشابي" في تونس الذي كان ثائرا متمردا مجددا في الشعر»[3]

وفي الجزائر نجد الشاعر "رمضان حمود"

هذا ما جعل الشاعر المعاصر يميل إلى التمرد والعصيان واستخدام عنصر الرمز لتعبير وتصوير الواقع المؤلم الذي تعيشه الأمة العربية

1-4 النزعة الثورية في شعر "رمضان حمود"

كأي جزائري يعشق بلده عرف "رمضان حمود" بذلك، نجده يلخص حبه لوطنه بقوله: «أحبه ويحبني فهو عين وأنا نورها، وهو صوت وأنا صداه، أكره من يبغضه وأُجلّ من يهواه، اسمه في قلبي مكتوب بنار الحماسة من صغري ولا يمحيه يد الدهر في كبري، عرفته فعشقته وان كنت لا أعرف العشق من قبل»[4]

كما عرف عنه كرهه للاستعمار الفرنسي وتمرده عليه وعلى الأوضاع السائدة آنذاك بحيث نجد جل كتاباته تنم عن ثورته وروحه الثائرة «كانت شخصية شاعرنا تبدو جلية من خلال مقالاته الملتهبة الموزعة بين الجرائد والمجلات تنم عن روح متمردة ثائرة تواقة إلى التجديد والإصلاح»[5]

---

[1] محمد العربي، الثورة والدولة والديمقراطية، د.ط، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2011، ص7

[2] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ط11، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص375

[3] عاطف عبد اللطيف، مظاهر الثورة في شعر أبي القاسم الشابي، دراسة فنية، (دم.ن)، ص93

[4] رمضان حمود، بذور الحياة

[5] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد

...والثورة على كل ما لا يروقه على جميع الأصعدة ونجد ثورته على كل أفكاره «ثورة على الجمود الفكري ... ثورة على التقليد الغربي ... ثورة على الاستعمار الفرنسي... إلى آخر هذه الثورات التي كانت جزءا من حياته واستوعبت أراءه فطبعته بطابعها»[1]

«وتتجلى هذه النزعة الثورية في نفس شاعرنا من خلال مواقفه الرافضة لتقنيات التعليم ومناهجه المتبعة وحملاته المتعددة على جميع المظاهر التقليدية التي عفا عليها الزمن من الوسائل السلفية المنتهجة فيه، والتي كان يصفها بقفص الموت وهيكل العذاب»[2]

بمعنى أن "رمضان حمود" كان ساخطا على حال الجزائر وقت الاستعمار حيث كانت تعيش في تبعية في كل شيء للمستعمر الفرنسي خاصة في مناهج التعليم، كان يدعو إلى التخلي عن كل ما هو قديم، كانت هذه المناهج قاصرة في تحقيق النجاح وأنها قديمة لا تواكب الجديد وأن هذا النظام حرم التلميذ من اكتساب المعارف والمهارات، واستثمارها في حل المشكلات يقول عن هذا النظام أنه «لا ينبت شيئا وإذا أنبت فالشوك والحنظل من سوء الأخلاق والتذبذب والخروج عن الجادة»[3]

ومعنى قوله هذا أن النظام المعتمد في التعليم لا يحقق أي نتيجة ولا أي نجاح وحتى إذا حقق شيئا وصفه بالشوك والحنظل أي لا فائدة منه وأنه ينتج عنه سوى سوء الأخلاق والخروج عن الجدة وهذا ما يجعله ناقما على هذا النظام التعليمي غير الجدي في نظره.

ونظرا لنزعته هذه الثورية ورفضه ونقمه لكل أشكال القهر والظلم التي كانت تسببه فرنسا على الجزائر، ثار على المستدمر الفرنسي من خلال أفكاره الثورية الرافضة للمستعمر وتعسفه فما كان إلا أن زجت به السلطات الفرنسية في السجن مع بعض المواطنين الأحرار وهو دون العشرين من عمره لتشهد حياته فصلا جديدا من تجديد الخناق لإخماد أفكاره»[4]

[1] محمد ناصر، حمود رمضان حياته وآثاره طبعة خاصة، ط2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985، ص18

[2] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، ص 54.

[3] محمد ناصر رمضان، حمود حياته وآثاره، ص14

[4] المصدر السابق، 62

وما زاده ذلك إلا حبا وهياما لوطنه بحيث نجده في جل مواضيع كتاباته ونلمس ذلك في شعره خاصة يقول:

وَشِعْرِي كَالْحُسَام يَصُونُ عِرْضًا

بِلَا حَرْبٍ عَوَانٍ أَوْ قِتَالِ

يُصَادِمُ مَنْ يَعيثُ بِمَجْدِ قَوْمِي

وَيَطْعَنُ ذَا الضَّلَالِ بِلَا نِزَالِ [1]

ظل رمضان حمود يناجي وطنه ويزرع روح الثورة في شعبه راسما له طرق الدعوة موضحا له الكفاح وطرق النهوض وذلك كله بالسلم والعلم والشجاعة، يقول:

أَلاَ أَيَا رِجَالَ الشَّعْبِ وَيْحَكُم هُبُّوا

فَقَدْ عَمَّت البَلْوَى كَمَا اسْتَفْحَلَ الخَطْبُ

أَفِيقُوا فَلَا عَيْشَ يَطِيبُ لِرَاقِدٍ

وَصُونُوا لَنَا مَجْدًا لِيَفْتَخِرَ الشَّعْبُ [2]

ونجده أيضا ثائرا على الضعف والاستخذاء، متمردا على السلبية القابعة، والذئاب تعيث في الأرض فسادا ثائرا على الأهة العزلاء والدمعة المتخاذلة وإن ذرفها أحيانا وترك لنا قصيدة كلها بكاء ونواح وعنوانها "دمعة حارة":

بكيت ومثلي لا يحق له البكاء

على أمة مخلوقة للنوازل

ولم أبك جبنا أو مخافة ناطق

فلي همة منتاهة للجلائل

تمر على المكروه وهي طليقة

[1] المصدر نفسه، ص49

[2] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، ص100-101

وتلبس ثوب الصبر عند العظائم [1]

وإذا ثار شاعرنا على الضعف فهو مؤمن بالقوة، وإذا كفر بالتعلات المنعرجة فهو مقدم في طريق واضح من التضحية والصبر على المكروه:

ولا أعيشُ بأَرضِ الذلّ مكتئبًا

فالذّل من شيمَة الأنْذالِ والسّفل

وأبذل النفس في سبل الحياة فدى

ولا أعول في الدنيا على رجل

فهذه غايتي بالجد أبلغها

وأبتني منزلا في دارة الحمل [2]

وهو واسع الصدر عند ضيق الموقف، فاذا به يعشق السجن قصرا منيفا، ويسفه الجبناء الذين يصورون الزنزانة قبرا مظلما:

سمعت بأن السجن أضيق من القبر

فألفيت قعر السجن أحسن من قصر

فماذا يفيد القصر والقلب بنضاله

وماذا يضر السجن من كان ذا قدر

ومن لم يذق طعم الردى نبضا له

سيشكو الأذى والدمع من عينه يجري[3]

ونجد شاعرنا لم يكتف بالشعر تمجيدا للسجن وتنويها بما أثره بل ترك لنا في كتابه (بذور الحياة) فصلا مستقلا تحت عنوان "السجن" بما له دلالات في حياته وبما كانت تعيش بلاده في

[1] د. صالح خرفي، رمضان حمود سلسلة في الأدب الجزائري الحديث، ط3، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985، ص64

[2] المصدر نفسه، ص65

[3] صالح خرفي، رمضان حمود، سلسلة في الأدب الجزائري الحديث، ص66

ذلك الوقت، بحيث نجده لا يخاف بل يفضله على أن يعيش حرا طليقا وبلاده مستعمرة ومضطهدة ومن بين العبارات التي استخدمها على السجن ما يلي: [1]

– (بين جدران السجون تنبت شجرة الحرية الاستقلالية) ويقصد في هذه العبارة أن المسجون يخطط في كيفية المقاومة والتخلص من الاستعمار، وجل تفكيره ينكب على الحرية والاستقلال.

– (ليس العار أن تغشى السجن ولكن الخزي الأكبر أن تتسامح في بنيك ووطنك خوفا من السجن) ومعنى هذا انه ليس من العارض أن تدخل السجن في سبيل وطنك ولكن العار الكبير في أنك تسمح في أولادك ووطنك وتخونهما خوفا من السجن.

– (ما سمعنا يوما بأن السجن والإبعاد والإعدام قضت على أمة أبدا بل ما رأينا ذلك إلا فاتحة مجدها وعزها وعظمتها) بهذه العبارة ينفي حمود رمضان بأن السجن والنفي والإعدام ومختلف وسائل القمع تقضي على أمة أبدا بل هي مجرد بداية لتحررها واستعادة لمجدها.

ثانيا. النزعة التجديدية

شغف شاعرنا بالتجديد في كل مظاهر الحياة، ونبضت بالإيمان به كل خفقة في قلبه وسرت الدعوة إلى التجديد في كل لفظة خطها قلبه، وبيت شعر دبجته ريشته، ولم تخل قصيدة له من لفظة (الجديد) مرادفة للفظة (القديم) حتى سمى بعضها القديم والجديد ويبلغ أحيانا في الثورة والتمرد مبلغ زميله ومعاصره الشابي:

أَيُّها الشَّعْبُ ليتني كنتُ حطَّاباً

فأهوي على الجذوعِ بفأسي

ونجد "حمود رمضان" ثائرا على كل مظاهر الرجعية رافضا لها وإلى كل من يقف في وجه الدعوات التجديدية ونجده يتجلى في قصيدته "القديم والجديد" إذ نراه في هذه الثورة ثائرا على الصوفية الذين ينشرون البدعة والخرافات في المجتمع، في نظره هذه الطائفة تقف في وجه التجديد وتعيقه:

[1] المصدر نفسه، ص66

فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَحْيَا عَلَى النَّاسِ مُشْرِفًا وَمُنْعَزِلاً عَنْهُمْ يُحِبُّ التَّصَوُّفَا

يُقْدِمُ رِجْلاً ثمُ يُدْبِرُ عَشْرَةً وَإِنْ سَمِعَ الأَقْدَامَ زَادَ تَوَقُّفًا

وَيمضِي عَلَى قتْلِ الجَدِيدِ مِنْ أَصْلِهِ وَيُرْجِعُ للعَصْرِ القَدِيمِ وَقَدْ عَفَا

وَيَجْمُدُ فيِ أَفْكَارِهِ وَآرَائِهِ وَلَوْكَانَ مَا يَبغِي اعْتِقَادًا مُجْوِفًا

يَرُوحُ وَيَغْدُو بَيْنَ يَأْسٍ وَخَيْبَةٍ يُشِيرُ لَهُ دَاءُ الرُّكُودِ فيَسْعُفَا

يرَى كُلَّ شَيْءٍ حَادِثٍ هُوَّ بِدْعَةٌ وَيَنْبُذُ أَشْيَاءَ الحَيَاةِ تعَفُّفًا[1]

من خلال هذه الأبيات نجد شاعرنا ساخطا على فئة الصوفية حسب رأيه هي حاجز أمام التجديد خاصة مع ما وجده سائدا في المجتمع خلال عودته من رحلته التعليمية، فقد «قفل(...) راجعا من تونس بعد أن حرم من متابعة دراسته فاصطدم في مجتمعه بالصراع المستميت بين الإصلاح والجمود، والتطاحن الأرعن بين أنصار القديم والجديد، ولم تزل شوكة الرجعية وقتئذ راسخة القدم محكمة الأسوار بدخيل يسهم على تغذيتها ومواطن يعض عليها بالنواجذ»[2]

انقسم الناس إلى فئتين في مواقفهم من التجديد، الأولى رحبت به وكانت على وعي بدوره الفعال في النهوض بالمجتمع أما الثانية فكانت رافضة له بقيت تمجد كل ما هو قديم بحيث كان المستعمر الفرنسي يشجع هذه الفئة لأنه لا يريد للجزائر التقدم ولا النهوض وبقي هذا الصراع قائما بين القديم وأنصار الجديد، دخل "رمضان حمود" في غمار هذا الصراع فكان في طليعة أنصار الجديد وحمل على عاتقه الكشف عن محامد التجديد ومحو الجهل:

وَدقُّ هَذَا البَحْثِ كَيْ تتْجَلِي لَهُ غَوَامِضُ عَصْرٍ حَادِثٍ، لَتَكَفْكَفَا

وَسَلّمْ أَنَّ العِلْمَ كُلَّـهُ نَافِـعُ خُصُوصًا عُلُومَ العَصْرِ، أَنْ كَانَ مُنْصِفَا

وَوَافقْنَا فيِ نَشْرِهَا بَيْنَ قوْمِنَا لِكَيْ نَطْرُدْ الجَهْلَ الوَبِيلَ، وَنَنْسِفَا

يُرِيدُونَ أَنْ نبَقَى كَمَا شَاءَ عُرْفُهُمْ وَأَنْ نتْرُكَ الإِخْلاَصَ، وَالحُبَّ، وَالوَفَا[3]

[1] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص268

[2] صالح خرفي، رمضان حمود سلسلة في الأدب الجزائري الحديث، ص71

[3] محمد ناصر رمضان، حمود حياته وآثاره، ص62

وبالرغم من أن الاستعمار الفرنسي كان يضيق الخناقة ضد المصلحين إلى أن شاعرنا لم يأبى لها وسعى في صيحاته التجديدية نجده يقول في نفس القصيدة:

فَإِنْ قَامَ وَاحِدٌ نحْوَ غَايَةٍ يُهَانُ بِتَنْكِيلٍ وَضَرْبٍ عَلَى القِفَا

وَإِنْ قَامَ يَدْعُو لِلصَّلاَحِ، فَإِنّهُ يرَى مَا يرَاهُ المُجْرِمُونَ تعَسُّفَا

فوالله لا تنثني عن السعي للعلا ولوكان في الإقدام موت مضعفا [1]

والتجديد عنده ليس ثورة على الماضي أو عداء بين الأجيال بل علاقة بين التراث والتجديد شبيهة بعلاقة الأم وولدها الذي تقوم برعايته إلى أن يشتد عوده وبعد ذلك عليه أن يسعى في مناكب الأرض معتمدا على نفسه فهو يطلب أن نشاور السلسلة التي تربطنا بالأجيال، نذيبها بنار التبديل والتفسير والتفنن ونجعلها إناء جميلا نصب فيه من نبات أفكارنا خمرا حلالا ونقدمه للشاربين عذبا زلالا [2].

بمعنى أن رمضان حمود ليس متنكرا للماضي المجيد، بحيث نجد فيه إفادة ونجده في قوله «الرجعية مضرة بالأمم إلا في التاريخ والدين فمفيدة جدا»[3]

ومن خلال قوله هذا نجد انه مدرك ضرورة معرفة الأمم لتاريخها ولم يكن تطلعه إلى حياة أفضل تنكرا للماضي المجيد أو تبرئا من أمجاده»

فنجده يقول في كتابه "بذور الحياة":

«إذا جهلت أمة تاريخها فقد جهلت مستقبلها، وإذا جهلت مستقبلها فقد أسرت نفسها بيدها وألقتها في يد غيرها»[4]

ويحذر من تزوير التاريخ إذا تلقته الأمة من غيرها فيقول: «التاريخ يحيي الأمم وقد يكون قاتلها إذا شربته من كأس غيرها»[5]

---

[1] المصدر نفسه، ص 269

[2] عبد الله الركيبي، الشعر الجزائري الحديث، مجلد1، د.ط، دار الكتاب، الجزائر، 1432هـ-2011م، ص345

[3] محمد ناصر رمضان، حمود حياته وآثاره، ص345

[4] صالح خرفي، رمضان حمود، ص39

[5] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص345

بحيث أن الدخيل الذي يدس انفه في تاريخ شعب آخر قد يغير فيه ويضر هذا الشعب وقد يكون قاتلا لها ولمجدها، والتواريخ والحوادث نوعية كثيرا لا يمكن رصدها ووضعها تحت مجهر الدراسة العلمية، فبدون تواريخ كثيرة يختلط فيها ما وقع مما لم يقع وتسجل في تاريخ الأمة ما لم يحدث ويحدث ما لم يدون.

فالشاعر رمضان حمود مدرك وواعي لدور التاريخ في بناء الأمم وثقافتها، فنجد عند دعوته إلى التجديد لم يهمل الماضي والقيم الفنية بل نجده يدعو إلى المحافظة عليه واعتماده في بناء المستقبل مع مواكبة التطورات الحديثة ونجده في قوله: «ليس التجديد آلة نهدم بها ما بناه أسلافنا ولكنه قوة غير متناهية نرمم بها الماضي ونهدم بها المستقبل»[1]

وهذا يبين اتجاهه ومذهبه أنه في ظل دعوته إلى كل ما هو جديد إلا أننا نجده يدعو إلى إحياء الماضي وضرورة النهوض بالأمم على أسس واضحة وجذور عميقة ويذم وينكر التقليد الأعمى «ينبذ الدين وراءه متعلقا بقشور الحضارة الغربية لاهثا وراء الناعقين من الدخلاء»[2]

فالتقليد الأعمى للحضارات الغربية ينتج عنه سوى الخيبة والهزيمة والبعد عن الدين، فشبابنا اليوم نجده يقلد الحضارات الغربية في كل شيء بدون وعي وبصيرة، فنجده يبكي على حالهم فيقول: «أضحك وأبكي كلما رأيت شبابنا يسير وراء تيار الغرب سيرة الأعمى الأصم وهو لا يفهم شيئا مما يفعل سوى أنه يقلد متمدنا جديدا لا يعرف مصادر الأمور ويخترع (المودات) التي توافق الذوق الرقيق والمزاج اللطيف»[3]

ونجد رمضان حمود آثر في نفسه بعض دعاة التجديد الذين يلحقون كل ما هو جديد وإهمالهم للقديم حتى وان كان نافعا، ويتبعون الجديد وتقليدهم الأعمى للغرب وهو مجرد تقليد يلتهم القشور دون الوصول إلى اللب فهو: «تجديد تنفثه نفوس مريضة اعتراها الشك وأفسدها التمرد، فعلت كل

[1] المصدر نفسه، ص 345

[2] صالح خرفي، رمضان حمود، ص38

[3] المصدر السابق، ص 346

ما يقال فيه ولو كان حسنا، ومالت إلى كل جديد ولو كان مرذولا (...) لها غايات شيطانية تريد القضاء على شيء يقال له الإسلام»[1]

هنا يشير إلى المستعمر الفرنسي الذي يريد قمع الهوية الجزائرية بمختلف الطرق والأساليب وذلك عن طريق إدخال التجديد في حياة المجتمع الجزائري الذي لا يوافق عقليته الإسلامية المحافظة فقد أرادوا «الإتيان بشيء لم يكن من قبل ولو كان مهلكة والانتقال من حال إلى حال مهما كانت التكاليف وبغير فكر ولا روية، فهم يتبرمون من الجمود الذي استعبدهم زمنا، فأرادوا التخلص من براثنه، فما لبسوا أن وقعوا في شرك محكم العقد وهو التقليد الأعمى يقلدون أناسا لا أخلاق لهم ولا دين، يقلدونهم في مساوئهم الضارة ولكنهم عند المحاسن الواجبة غافلون (...) كأنهم لا عقول لهم ترشدهم ولا بصائر تنير لهم السبل»[2]

بمعنى انهم إذا أرادوا التخلص من الجمود وقعوا في فخ التقليد الأعمى واتباعه والانسلاخ من القيم التي تربوا عليها يقول:

نَسِيرُ وَرَاءَ النَّاعِقِينَ تَهَالُكاً لِنَحْظَى ببَعْضِ الشّيْءِ، والشّيْءُ سَافِلُ

نرَى قَوْلَهُمْ حَقّا وَصِدْقًا وَحُجّةً وَإِنْ جَاءَ مِنْهُمْ تافِهٌ فَهُوَ كَامِلُ [3]

وليس من غرابة في هذه الدعوة إلى التجديد فقد عرفنا الشاعر ثائرا متمردا داعيا لطي ما يلي من أثار الحياة، ونجد دعوته إلى ابتكار في أوسع مجالاته فقد اتجهت دعوته إلى ضرورة التخلي عن الوزن والقافية فيقول:

ألا جددوا عصرًا منيرًا لشعركم فسلسلة التقليد حطمها العصر

وسيروا به نحو الكمال، ورمموا معالمه حتى يصافحه البدر [4]

[1] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص189

[2] المصدر نفسه، ص190

[3] المصدر السابق، ص38-39

[4] صالح خرفي، رمضان حمود، ص51

نجد في هذه الأبيات دعوة صريحة إلى التجديد في الشعر، وضرورة الابتكار في الشعر وترميمه، والتخلي عن التقليد ونراه متحمسا إلى التجديد ومؤمن به ويشجع كل شاعر على التجديد ومن جهة أخرى نجده يتهكم على شعرائنا المقتنعون بالتقليد واجترار الماضي يقول:

أتوا بكلام لا يحرك سامعا "عجوز" له شطر وشطره المصدر

وقد حشروا أجزاءه تحت "خيمة" كعظم رميم ناخر ضمه القبر

وزين "بالوزن" الذي صار مقتفي بـ "قافية" للشط يقذفها "البحر"

وقالوا وضعنا "الشعر" للناس هاديا وما هو شعر ساحر ولا نثر

ولكنه نظْم وقول مبعثر وكذب وتمويه يموت به الفكر [1]

وليست المشكلة مشكلة الألفاظ المرصوفة في بحر شعري عارية من روح الشعر كما يبدو من هذه الأبيات ولكنها أبعد من ذلك، ويعرف رمضان حمود الشعر بقوله: «الشعر تيار كهربائي، مركزه الروح وخيال لطيف تقذفه النفس، لا دخل للوزن ولا القافية في ماهيته، وغاية أمرهما انهما تحسينات بديعية لفظية اقتضاها الذوق والجمال في التركيب لا في المعنى، كالماء لا يزيده الإناء الجميل عذوبة ولا ملوحة وإنما حفظا وصيانة من التلاشي والنسيان»[2]

بمعنى أن الشاعر رمضان حمود يدعو إلى التخلي على الوزن والقافية وانهما ليست شرطا في كتابة الشعر ويبرهن على هذا بأن العرب وضعوا أشعارهم وهم أميون لم يدخلوا مدرسة ولم يتلقوا حكمة اليونان ولا مدنية البرومان ولم يعرفوا وزنا ولا قافية وإنما حاكوا بشعرهم نغمات الطبيعة المترنمة.

ويواصل شاعرنا في البرهنة على أصالة فكرته ورجوعها إلى جذور عميقة في التاريخ وفي أقدس نص عربي: «ولو انهم قصدوا بالشعر الوزن والقافية، لما قالوا في بداية الدعوة المحمدية –على صاحبها أفضل السلام– أن القران شعر وأن صاحبه شاعر مجنون مع علمهم انه كلام مرسل

[1] المصدر نفسه، ص52

[2] المصدر نفسه، ص52

لا أثر للوزن فيه وان صاحبه لم يسمع منه بيت في سوق من أسواقهم ولا في مجتمع من مجتمعاتهم ولا تحدث عنه بذلك»[1]

وعند الوقوف على هذا النص نفهم منه أن رمضان حمود ينفي ضرورة ملازمة الشعر للوزن والقافية، فنجده يقف موقف ثائر على قدسية الوزن والقافية ولا يراهما من ضرورات الشعر الحداثي.

إن دعوة الشاعر تصب في طابع تجديدي مفاده الأخذ بأسباب العلم النافعة وكل ما يتعلق بإيجابياته التي تعود بالمنفعة على المجتمع، حيث كانت الحركة الأدبية في الجزائر منغلقة منطوية على نفسها في تلك الفترة يطبع عليها طابع الكلاسيكية وكان الاتصال بالشرق الذي يمكن أن يغذي حركة الأدب في الجزائر متقطع الأنفاس لأنه في نظر المستعمر اتصال على حساب هنائه وراحته في الجزائر.

«وكان شاعرنا من زمرة المتطلعين إلى جامع الزيتونة في تونس ومن زمرة الملقين على الغرب نظرة عابرة، بفضل ثقافة فرنسية ابتدائية وكانت الشرارة كافية لإيقاد جذوة التمرد والثورة على كل تقليد تجاوزته الأيام بعيدا عن الأصالة والجدة والخلف»[2]

ثالثا: النزعة الإصلاحية

شهدت الجزائر عند احتلالها من طرف فرنسا عدة تحولات، في كل مجالات الحياة بدخول المستعمر الفرنسي، قلبت الأوضاع رأسا على عقب حيث عمل على طمس الهوية الجزائرية ومحاولته للقضاء على الإسلام ومحوه وتبديله بديانة المستعمر وذلك عن طريق محاربته وإدخال بعض من عاداته وأخلاقه وأساليب عيشه التي تخالف ديننا الإسلامي، هذا ما أدى إلى تدهور الوضع في الجزائر في مختلف مناحي الحياة ولكن ظهر تيار أخر مناهض له كرد على المستعمر الفرنسي، ويتمثل هذا التيار في الحركة الإصلاحية، حيث كان عملها ينكب في إصلاح وتقويم المجتمع الجزائري، ومن الأسماء اللامعة في مجال الشعر الإصلاحي، الذين حملوا على عاتقهم

[1] صالح خرفي، رمضان حمود، ص40

[2] المصدر نفسه ص41

إصلاح المجتمع واتخذوا من شعرهم رسالة وأداة للنهوض بمجتمعهم نذكر: الطيب العقبي، اللقاني بن السائح، عبد الحميد بن باديس، البشير الإبراهيمي، ورمضان حمود...

وقبل الخوض في مفهوم النزعة الإصلاحية في الشعر يجب أن نورد مفهوم "الإصلاح" أما النزعة فقد تطرقت إليها من قبل.

1-1 مفهوم الإصلاح

أ/ لغة: جاء في معجم العين "صلح" الصلاح، نقيض الطلاح، ورجل صالح في نفسه، ومصلح في أموره وأعماله، والصلح: تصالح القوم بينهم وأصلحت إلى الدابة أحسنت إليها، والصلح: نهر بيسان[1]

وجاء في "لسان العرب" **لابن منظور**: صلح: الصلاح ضد الفساد، صلح يصلح ويصلح صلاح وصلوحا، وانشد أبو زيد:

فكيف بإطراقي إذا ما شتمتني؟ وما بعد شتم الوالدين صلوح

نقيض الإفساد، والمصلحة: الصلاح، والاستصلاح نقيض الاستفساد وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه[2]

وقد وردت لفظة إصلاح في القرآن الكريم في الكثير من المواقف، كقوله تعالى في سورة الأعراف: «ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين»[3]

1-2 النزعة الإصلاحية في الشعر:

إن فكرة الإصلاح موجودة من القدم وليست وليدة العصر الحديث فقط، فالإسلام نجده قد دعا إلى الإصلاح في مختلف المجالات نظرا لما كانت تعيشه الأمة آنذاك من لهو ومجون فدين الإسلام قد قوم حياة المجتمع وزرع فيهم الحب ومختلف مشاعر الأخوة وحضور النزعة الإصلاحية في الشعر الجزائري كان بارزا، فالجزائر كانت تعيش تحت وطأة المستعمر الفرنسي وعمل هذا

[1] الخليل بن احمد الفراهيدي، معجم العين، المجلد الرابع، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ص121

[2] ابن منظور لسان العرب، الجزء 3، ط3، دار صادر، بيروت، 1414، ص1320-1321

[3] سورة الأعراف، الآية 56

الأخير على جعل الجزائر تعيش في ظلمة الجهل والتخلف وأن يدخل في شعبها بعضا من عاداته وأخلاقه السيئة والتي تخالف ديننا الحنيف، ومن هذه الظروف ظهر تيار يدعو إلى الإصلاح والتخلي عن عادات المستعمر والدعوة إلى طلب العلم والتعلم والنهوض بالوطن ومحاربة هذا المستدمر بالعلم، تطورت الحركة الإصلاحية إلى أن شملت الناحية الأدبية «فكان الشعر من أهم أسلحة الفكر الإصلاحي، ووسيلة ليقظة النهضة الدينية »[1]

استعمل الأدباء والشعراء الشعر كأداة ووسيلة للإصلاح في مجتمعنا، وقد «ارتبط الشاعر بالحركة الإصلاحية لأن رجال الحركة الإصلاحية احتضنوا التراث والأدب واللغة والثقافة العربية في الجزائر ومن ثم ازدهر هذا الشعر في رحاب هذا الفكر وعبر عن أهدافه ومراميه»[2]

"وتعتبر أول قصيدة تؤرخ الفكر الإصلاحي في الجزائر هي قصيدة "المنصفة" للشاعر "محمد المولود بن الموهوب" ومن خلالها يصف الواقع الجزائري ويقدم نقدا له وللمظاهر الدخيلة عن الدين الإسلامي وتعاليمه"[3]

يقول فيها:

صعود الأسفلين به دُهينا لأن للمعارف ماهدينا

رمت الأمواج بحر اللهو منا أناس للخمور ملازمينا [4]

من خلال هذين البيتين نجد الشاعر ينتقد الأوضاع التي آل إليها الشعب الجزائري من انحلال أخلاقي وفساده، داعيا إلى التخلص منها.

وبعد هذه القصيدة ظهرت عدة قصائد مثلها لشعراء مختلفين كان من واجبهم إصلاح مجتمعهم حيث نجدهم سخروا كتاباتهم للنهوض بشعبهم، كانت بداية هذه الدعوة تصب في الجانب الديني لتشمل بعدها مختلف مناحي الحياة.

---

[1] حميدة بنت حفيظ قادوم، دراسات في الشعر الحديث والمعاصر، ط1، دار عيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2018، ص23

[2] عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص420

[3] المرجع السابق، ص423

[4] محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ط2، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، ص67

حيث «كان ينظر إلى القضايا الوطنية جميعها من زاوية واحدة هي زاوية الإصلاح الثقافي والاجتماعي»[1]

وعرف الشعر الإصلاحي تطورا واضحا بمجيء جمعية العلماء المسلمين، بهذه الجمعية أصبح الشعر الإصلاحي بارزا وواضح المعالم، فقبل ميلاد هذه الجمعية كان الشعر الإصلاحي محتشما نوعا ما، «وقد اشتد الشعر الإصلاحي أكثر بمجيء جمعية العلماء المسلمين الذي اخذ صيغة التحدي والمجابهة، مجابهة الاستعمار من ناحية وأذياله الذين ينكرون تاريخ الجزائر من ناحية ثانية، فوجد الشعر بذلك مناخا جديدا يساعد على التطور والإقدام... فأصبح الشعر الذي كان مجرد تساؤل ممزق ودمعة مسفوحة أصبح تحديا صريحا يدعو إلى الجهاد والنضال»[2]

وحمود رمضان كان من أكثر الشعراء الذين دعموا هذه الحركة ووقف معها بحيث كانت هذه الحركة تكمل وتوافق دعوته، «ونجده قد تبنى هذه النزعة الإصلاحية منذ أن كان في تونس، حيث رافقه في رحلته التعليمية إليها طائفة من المصلحين ... لتعزيز روح الكفاح الإصلاحي في نفسه، ويتطلع إلى شرف المقاومة فيه وهو لا يزال طالبا، وقد كان الإصلاح في مفهوم هؤلاء الرجال تعبيرا قويا عن مدى تمسك المسلمين الجزائريين بشخصيتهم العربية الإسلامية»[3]

ودخول الشاعر في هذه الحركة الإصلاحية كان لإيقاظ الشعب الجزائري من سباته، وبث فيهم روح الثورة ضد المستعمر والوضع الذي آل إليه المجتمع الجزائري:

فـي سَبِيلِ الله وَالحَـ ق ندَائِي وَفِعَالِي

فِي سَبِيلِ الدِين والشَّعْـ ب هيامِي وغرامِي

فِي سَبِيلِ العِزِّ مَـالاَ قَيْتُ وَالمَجْدُ المضَامْ[4]

[1] أبو قاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5، الرائد للكتاب، 2007، ص35

[2] ينظر عمارة حياة، الاتجاه الإصلاحي في شعر محمد العيد آل خليفة، رسالة ماجستير جامعة بلقايد، تلمسان، 2001، ص19-20

[3] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص26-27

[4] المصدر نفسه، ص 232

والدافع الذي جعل من "رمضان حمود" أن يدخل غمار الحركة الإصلاحية هو الأوضاع المزرية التي آل إليها الشعب الجزائري، حيث نجد الشاعر قد كرس عمله على بث الأمل والثورة وزرع روح التغيير، رافضا كل أشكال الظلم والذل والعيش بكرامة ومن صيحاته الإصلاحية:

لا تملُّوا لَا تَمِيلُوا أبَدًا إنّمَا النَّصْرُ حَلِيفُ البُسَلاَءِ

لَا تَكُونُوا لُقْمَةً سَائِغَةً فِي فَمِ الظُّلْمِ فَذَا عَيْنُ الفَنَاءِ[1]

تيقن شاعرنا بأن إصلاح المجتمع الجزائري لا يكون إلا بإصلاح القطاعات التالية: العلم، المسجد، الفلاحة، التجارة، الصناعة، فهذه القطاعات عند إصلاحها والنهوض بها وتطورها كفيلة بأن تصلح الشعب الجزائري.

أ/ العلم:

للعلم أهمية كبيرة في إصلاح المجتمع، فالعلم هو المصباح الذي ينير دروب الحياة ويخرج الإنسان من حصون الجهل والظلام، ولقد شرف الله العلم وأهله ويمكن للفرد بالعلم أن يواكب العصور المزدهرة ويصنع حياة راقية وكريمة للمجتمع، فرمضان حمود أدرك هذه الأهمية وجعل العلم سلاحا له ليغير من شعبه، ويدعوه للتعلم وطلب العلم، ونجده يمجد العلم في جل قصائده يقول:

فخذ العلوم إلى الحياة سبيلها فالعلم سيف من عنه يفديك

وتعلمي منكل علم لبه فالجهل داء بالردى يسقيك

وتعلمي علم الأوائل أنه علم إلى نيل الهدى يهديك [2]

فمن خلال قصائده هذه كان يشجع ويدعو الشباب إلى طلب العلم والتعلم وانه الطريق الوحيد للنهوض بالبلاد وشعبها ونجده أيضا في قصيدة أخرى بعنوان "فحياة العز بالعلم الثمين" من خلال عنوانها نجده يمجد العلم وانه سبب في رقي المجتمعات:

عَرّفُوني بِشُعُوبٍ ارْتقَتْ بِضَلاَلٍ وَسُكُوتِ البُلَهَاءْ

[1] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، ص95

[2] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص265

عَرِّفُوني بِشُعُوبٍ اِعْتلَتْ وَبنُوهَا في صُفُوفِ الجُهَلاء[1]

والشاعر من خلال هذين البيتين نجده ينفي وجود شعوب ارتقت وتطورت وأبنائها جاهلين ويعيشون في ظلمة الجهل، فنحن نعيش في عصر العلم والمعرفة ولا مكان فيه للجهلاء والضعفاء ويقول:

نحن في عصر بدت أنواره يحرم الجاهل فيه من أملْ

نحن في عصر تلظت ناره فيه من كان ضعيفا لم ينل[2]

ونجد الشاعر معجبا بتطور الغرب وعلومه، وفي قصائده أيضا نجد هذا الإعجاب بالغرب ودعوته الصريحة بالاستفادة من الغرب وعلومه:

انظروا الغرب، بعلم ما بنى من قصور شامخات للعلا

عاث في الأرض كليث باسل ينظر الناس بهزء وازدراء [3]

ودعوته الصريحة للاقتداء بالغرب ومنجزاته لا تنفي انه يداري عن منجزات أجداده وآبائه «غايتنا الوحيدة التي ترمي إليها نهضتنا العلمية والإصلاحية هي إحياء ما اندرس من مجد آبائنا والاقتداء بعظمائنا وتلقين العام بأننا أمة إسلامية متمسكة بدينها وعوائدها وقوميتها ووطنها تمسكا متينا لا نبغي بهن بديلا»[4]

ومن بين أهم الإصلاحات التي نادى بإصلاحها رمضان حمود نذكر:

ب/ المسجد:

يلعب المسجد دورا كبيرا في حياة المسلمين، فهو المنارة التي يسترشد بها المؤمن في حياته ومنه يستمد مقومات دينه ويعرف أصوله ومبادئه

[1] المصدر نفسه، ص 224

[2] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، ص91

[3] المصدر نفسه، ص89

[4] حواش مصطفى بن بكير، بذور الحياة لرمضان حمود في حلة جديدة وطرح مبتكر، ص51-52

فالمسجد يكون القواعد التي يبني عليها المسلم حياته في مختلف مجالاتها، وهو الذي يشع على كل هيئات المجتمع أنوار الهداية والرشاد ومنه تأخذ كل تركيبات المجتمع أساليب العمل ومناهج التحرك وطرق الانطلاق، فقد كان دوما منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الموجه لحياة المسلمين والمدير لشؤونهم والمدير لأمورهم فقد كان المدرسة والمعهد، والجامعة والثكنة والنادي، وكلما يحتاج إليه المسلم في التكون، أي كان الملاذ والحصن للمسلم في تنظيم شؤون معاشه ومعاده وشاعرنا مدرك لهذه الأهمية التي يحملها المسجد فنجده يقول: «المسجد في مكان القلب في الجسد فإذا صلح، صلح البلد كله، وإذا فسد، فسد البلد كل»[1]

ونجده قد ذكر مسجد "ميزاب" قائلا: «إن ميزاب وطن إسلامي وعريق في إسلامه لا يهمه من شؤون الحياة إلا الدين وما يتصرف منه ومن هنا كان لرؤساء الدين أو "العزابة"[2] السلطة على الشعب في تسيير أموره»[3]

وكانت العزابة الآمر الناهي في المسجد، فنجد الشاعر يعترف بأنهم لم يديروه كما ينبغي ولم يقوموا بواجباتهم كما ينبغي، فأصبح المسجد مهملا ويقول في هذا الصدد: «ولكن هؤلاء لم يقوموا بواجبهم المقدس الملقى إليهم فقد فرَّطوا فيه وأهملوه فضيعوا بذلك ثقة الأمة وسطوة وحقا مشاعا كان يتمتع به ميزاب منذ القديم، وبات المسجد وهو قلب الأمة ودماغها مسرحا واسع الأطراف للأغراض والشقاق والإهمال»[4]

قام رمضان حمود بالدعوة إلى إصلاح مسجد ميزاب نظرا للحالة التي آل إليها، ونجده يتمنى أن تلقى فيه الدروس بانتظام كما كان في السابق فيقول: «ولهذا أحب ... أن تلقى دروس منتظمة

[1] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص454

[2] العزابة من أهم وأشهر الهيئات الدينية والسياسية بميزاب يعرفون في أوساط العامة باسم اعزابن والواحد منهم يسمى أعزاب وهم يمثلون العلماء والأئمة وأهل الرأي والمشورة من الأمة وتقوم الحلقة بالإشراف الكامل على شؤون المجتمع الميزابي الدينية والتعليمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية

[3] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص454

[4] المصدر نفسه، ص 455

في بيوت الله توافق حاجيات الأمة وتنير لها سبل الحياة المتشعبة وتحثها على التمسك بالدين القويم (...) والسير في مناهجه المستقيمة»[1]

والأخلاق ضرورة للدعوة لإصلاح فبالأخلاق تستقيم الأمم والأمة التي بلا أخلاق لا مستقبل لها و"رمضان حمود" أدرك ضرورته فيقول: «ويتحتم على هؤلاء المرشدين أن يقوموا الأخلاق قبل كل شيء ليتسنى لهم بذر ما شاءوا من الإصلاح في أمد قصير وبغير كبير عناء، ولا ينسوا مع ذلك أن المرشد إن لم يكن نظيف الذيل طاهر السريرة(...) لا يُسمع كلامه، ولا يُعمل به ولو جاء ببيان قسم(...) لأن العبرة بالقلب لا باللسان» [2]

ويعود نجاح المسجد في تأدية مهامه ورسالته إلى خلق المرشد ونواياه وقوة إيمانه.

ج/ الفلاحــة:

الفلاحة هي مهنة قديمة عمل بها الناس منذ آلاف السنين وتعني القيام بشؤون الأرض من زرع وري وحرث وما إلى ذلك، وتعتبر من الأنشطة الاقتصادية الحيوية للإنسان، وخلال الاستعمار الفرنسي في الجزائر تدهورت الفلاحة إلى حد كبير وما حز في نفس الشاعر لإصلاح هذا القطاع فيقول: «الفلاح خادم الأمة وسيدها ولا حياة بدونه (...) وما سعدت أمة بشقاء فلاحها أبدا»[3]

نجد الشاعر يعطي الفلاح أهمية كبيرة فهو قد يبدو المزارع في المجتمع ضمن الطبقة الدنيا من الكادحين، بينما هو فرد منتج في مجتمعه لا مستهلك فقط كما انه يجمل البيئة ويجعلها جنة تسر الناظرين بفضل زيادة المساحات الخضراء المزروعة وخلق بيئة مناسبة للطيور والحيوانات.

ويرجع الشاعر سبب تدهور الفلاحة في الجزائر في ذلك الوقت إلى الجمود الذي عرفه الفلاح، فهذا الأخير لم يواكب التطورات التي شهدها قطاع الفلاحة وذلك بسبب ما كانت تعيشه البلاد من ويلات المستعمر الذي كان يهدم ويخرب ويحرق الأخضر واليابس من اجل أن يبقى

[1] المصدر نفسه، ص 455

[2] المصدر نفسه، ص 455

[3] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص455

الشعب الجزائري تحت هيمنته. فبقيت الفلاحة «سائرة على سنة قديمة لم يدخلها أي تحسين يذكر رغم تغيير الأزمان وكر الدهور»[1]

وتبعا لنزعة الشاعر الإصلاحية نجده قد اقترح حلولا للنهوض بهذا القطاع المهم في حياة الشعب الجزائري وذلك «على ذوي النفوذ والمال أن يكونوا شركة وطنية صرفة لا دخل للأجنبي فيها(...) لتكون غايتها حفر الآبار الارتوازية وإحياء الأرض الميتة من مياهها الغزيرة»[2]

د/ التـجـارة:

هو مفهوم اقتصادي أساسي يتضمن شراء وبيع السلع والخدمات، مع تعويض يدفعه المشتري للبائع، أو تبادل السلع أو الخدمات بين الأطراف وهو نشاط قديم قدم التاريخ البشري، كانت مقايضة سلع مختلفة مقابل سلع أخرى هي الطريقة الرئيسة التي يستخدمها الناس من ثقافات مختلفة السلع التي لم تكن موجودة في منطقتهم وحسب رأي رمضان حمود انها «منبع الثروة في كل شعب ولا يمكن لأمة أن تستقل بدون ترقية تجارتها»[3] ونظرا لأهميتها فإن الشاعر دعا إلى ضرورة إصلاحها والنهوض بها فبتحسن حالها يتحسن اقتصاد البلاد، ونجده اقترح حلولا «بإنشاء الشركات التعاونية وتأسيس جمعيات (...) وتحديد الأسعار رفقا بالضعيف»[4]

وأيضا اقترح إنشاء «جريدة عربية تتبع حركات الاقتصاد في العالم ليكون التاجر على بصيرة من أمره عند هبوط، وارتفاع الأسعار والاستفادة من سير الغير، وشراء البضائع من مصانعها»[5]

وهذا يساعد على الاطلاع أكثر للأخبار الاقتصادية

هـ/ الصناعة:

الصناعة في الأصل يرادف القطاع الاقتصادي الذي يعنى بالنشاطات الاقتصادية كتحويل المواد الخام إلى منتجات وخدمات ذات فائدة والصناعة هي إجمالي المشاريع المنتجة تقنيا في

[1] المصدر نفسه، ص 460

[2] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص460

[3] المصدر السابق، ص455

[4] المصدر نفسه، ص460

[5] المصدر نفسه، ص460-461

أي حقل من الحقول أما رمضان حمود فقد عرفها بقوله «هي عملية تحويل المواد الخام بما يلائم حاجيات الإنسان ومتطلباته (...)، كما أنها فاعلة في زيادة الدخل القومي، وتطوير نشاطات اقتصادية أخرى، وقد وصفها الشاعر بأنها «أم التجارة وبنت الفلاحة»[1]

ونظرا لأهمية هذا القطاع في علاج مشكلات البطالة حيث أن الصناعة تساعد على توفير فرص البطالة وتنويع مصادر الإنتاج والدخل والصادرات وتسهم كذلك الصناعة في رفع نمو الاقتصادي هذا ما راح شاعرنا ليثبته عن طريق إصلاح هذا القطاع الهام ونجده قد ذكر صناعة الصوف فهي منتشرة آنذاك في كل بيت جزائري، فبكل بيت يوجد منسج تديره امرأة ولكن دخله ضئيل رغم الإتقان والإجادة فقد عرف في العالم بإنتاج الزرابي فيقول: « وأهم ما يفتخر به هذا المنسج العتيق الزرابي الجميلة التي ذاعت شهرتها في العالم بفضل السياحين الذين يقدرون للصناعة والفنون الجميلة حقها»[2]

ومن اقتراحاته للنهوض بهذا القطاع «اقتراح معرض عام في كل سنة فيه تعرض جميع أنواع الأنسجة الوطنية وينال الفائزون جوائز مختلفة تكون لهم عونا وتنشيطا على عملهم فبذلك يتقدم المتأخر ويزيد المتقدم إتقانا»[3]

واقترح أيضا «إنشاء معمل واسع الأطراف للنسيج تعمل فيه النساء الفقرات اللواتي فقدن كل مساعد»[4]

وبهذه الاقتراحات يكون قد ساعد في تقليل البطالة وخلق فرص عمل ويتطور القطاع أكثر.

كرس الشاعر رمضان حمود حياته وكتاباته للإصلاح ووقف في وجه كل تخلف وجمود آملا النهوض بالبلاد وإخراجها من براثن الخمول والتخلف في مختلف مناحي الحياة، في ظل العراقيل

[1] المصدر نفسه، ص462

[2] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص462

[3] المصدر نفسه، ص462-463

[4] المصدر نفسه، ص463

التي كان يواجهها من طرف المستعمر الفرنسي الذي في أخر المطاف زج به في السجن وهذا لم يمنعه ويثبط من عزيمته، ظل رمزا للإصلاح، فهو يرفض الذل والإهانة فيقول:

رأوني أنادي بالنهوض وإنني ألح عليهم في الحديث مطولا

فظنوا بأني جئت طالب شهرة لكي يضعوا في الكواكب هيكلا

ولم يعرفوا قلبي ونفسي وهمتي وإنـي أرى ما لا يرون تعقلا [1]

ودخوله السجن لم يخيفه بل نجده فضله على أن يعيش حرا تحت الخضوع للاستعمار يقول:

سَمِعْتُ بِأَنَّ السِّجْنَ أَضْيَقُ مِنْ قَبْر فَأَلْفَيْتُ قَعْرَ السِّجْنِ أَحْسَنُ مِنْ قَصْرٍ

فَمَاذَا يُفِيدُ القَصْرُ، وَالقَلْبُ حَـائِرُ وَمَاذَا يُضِرُّ السِّجْنُ، مَنْ كَانَ ذَا قَدْر [2]

في هذه الأبيات رمضان حمود يستحسن السجن على القصر.

[1] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، ص217

[2] حواش مصطفى بن بكير، بذور الحياة لرمضان حمود في حلة جديدة وطرح مبتكر، ص16

خلاصة الفصل

ويمكن أن نخلص في نهاية هذا الفصل إلى أن معظم المضامين الشعرية لـ "رمضان حمود" لم تخرج عن فلك النزعة الثورية والإصلاحية التجديدية، وقد تناول قضايا وطنه وامته العربية وقد وصف واقعها المؤلم غداة الاستدمار الفرنسي.

كان الواقع المؤلم الذي يعيشه "حمود رمضان" وشعبه تحت قبضة المستعمر الفرنسي الدافع الأساسي للنزعة الثورية في جميع أفكاره بحيث كان حريا عليه أن يقوم ويصلح ما أفسده المستعمر في بلاده وذلك عن طريق نزعته الإصلاحية.

الفصل الثاني: الصورة الشعرية وجمالياتها

أولا: بين اللغة والصورة

1-لغة الشاعر

2-الصورة الشعرية

1-1 الاستعارة

2-2 التشبيه

ثانيا: جمالية الرمز

1-الرمز الطبيعي

1-1 رمزية البحر

1-2 رمزية الريح

1-3 رمزية الليل والظلام والدجى

2-الرمز التاريخي

2-1 رموز الشخصيات الإسلامية

2-1 الشخصيات الأدبية

3-الرمز الديني

ثالثا: دلالة اللون في شعر رمضان حمود

1-اللون الأحمر

2-اللون الأسود

3-اللون الأبيض

4-اللون الأخضر

أولا. بين اللغة والصور:

1-لغة الشاعر:

تيقن "حمود رمضان" ما للغة من أهمية فهي ترفه من قيمة الشعر أو الحط منها، ذلك أن اللغة هي روح الأدب باعتبارها أداة لتبليغ والتعبير، إذا ملحت ملح وإن فسدت فسد ولا يمكن الاستغناء عنها في كل عمل أدبي، فيرى أن هذه اللغة لا بد وأن تتماشى والعصر الذي يعيش فيه الشاعر وتواكب التطورات والتغيرات التي تطرأ عليه.

وقد وقف الشاعر مع قضية اللغة الشعرية وقفة خاصة، إذ أنه اعتبرها العمود الأساسي في التجديد الشعري الذي نادى به.

«اللغة عنده هو الحفاظ على القومية والأصالة الشخصية» [1].

ويقول: «اللغة العربية لغة واسعة الأرجاء بعيدة الأطراف لا يضاهيها لسان في العالم ولكن الجل من أبنائها الجامدين خنقوا أنفسها ولم يتركوا لها منفذا تتسرب منها أشعة الحرية والتقدم فباتت وهي عزيزة في الزمان الماضي، ذليلة حقيرة في دارها اليوم» [2].

ويقصد في هذا القول شعراء الإحياء الذين تشبثوا بالقاموس الشعري القديم ولم يفسحوا للغة الشعر منفذا تتلقف منه بوادر التجديد، وهذا ما جعل الشاعر يدعوا إلى الاجتهاد في دراسة اللغة وفهم خباياها، والعزوف عن طابعها القديم حثا منه على تجديد القوالب اللغوية الشعرية، فاللغة – كما ذكر سابقا– المادة الخام للشعر والأدب كله: « أجهدوا أنفسكم في فهم أسرارها، في دقيق معانيها، في إتقانها غاية الإتقان فإذا تم لكم المراد، واستحوذتم على جانب وأخر منها، أنبذوا عنكم كل حلة بينكم وبين ماضيها (...) غيروا، تفننوا، وأسعوا أصلحوا، فغنكم بذلك تكونون عصرًا مستقلا منيرًا ذا ميزة عن غيره »[3].

---

[1] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 400.

[2] المصدر نفسه، ص 400.

[3] المصدر نفسه، ص 400.

وظف الشاعر اللغة في ثلاثة مستويات، في كل مستوى إحتوته ظروف معينة وحددته غاية معينة ففي المستوى الأول:

إستعمل لغة إستثنائية فرضتها ظروف إستثنائية ومحددة (ظروف الاحتلال الفرنسي)، فابتعدت بذلك اللغة عن المقاييس الفنية هادفة إلى القدرة على اقتناع العامة والتأثير فيهم، فطالب "حمود رمضان" الأدباء بأن يخاطبوا الناس باللغة التي يفهمونها.

أما المستوى الثاني:

فوظف لغة تنطلق مع الأمة في ظروفها العادية، وهي نعيش حريتها واستقلالها فأعلن ثورته على اللغة التقليدية وخصائصها.

المستوى الثالث:

وظف اللغة ضمن ما أسماه بالأدب المانع وهو المستوى الذي تطلق عليه المناهج الحداثية «اللغة الإنزياحية » لتتصدر بذلك البنية اللغوية طبيعة النص الأدبي، وتجعله منفتحا لقراءات مختلفة.

واللغة الشعرية التي يفضلها هي المتمشية مع روح العصر المتطورة معه المستجيبة لمتطلباته.

وفيما يأتي مخطط يوضح هذه المستويات الثلاث التي وظفها الشاعر في مضامينه الشعرية:

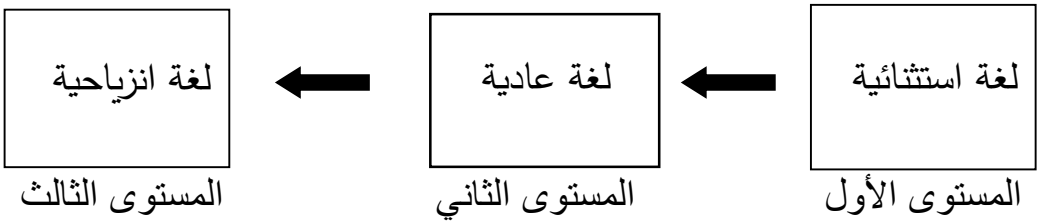

مخطط توضيحي لمستويات اللغة عن « رمضان حمود »

2-الصور الشعرية:

يعد عنصر التصوير عنصرًا هاما في الشعر، والصورة أحد المكونات الأساسية في العمل الأدبي عامة والشعر خاصة، وهي جزء من نظام القصيدة والجوهر الثابت والدائم فيه، ونجد أنه هناك اِرتباط وثيق بين الصورة والتجربة الشعورية، إذ أنها طريقة من طرق التعبير ووجه من أوجه الدلالة، والحديث عن الصورة الشعرية أو التصوير الشعري قديم في النقد العربي، حيث عُد الجاحظ الشعر: «صناعة وضرب من التصوير» [1].

فالتصوير الشعري واحد من أهم مرتكزات العمل الشعري الناجح، ثم إنها من مميزات اللغة الشعرية فهي أداة للتأثير في جمهور المتلقين إيحاءً أو رمزا والصورة الشعرية تكون حسية أو شكلية.

ويمكن القول بأن الصورة الفنية «طريقة خاصة من طرف التعبير أو وجه من أوجه الدلالة تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من معاني من خصوصية وتأثير»[2].

«والشاعر بواسطة الصورة بشكل أحاسيسه وأفكاره وخواطره في شكل فني محسوس وبواسطتها يصور رؤيته الخاصة للوجود وللعلاقات الخفية بين عناصره»[3].

بواسطة الصورة يعبر الشاعر عما يحسه من مشاعر وأحاسيس بطرق فنية وجمالية وبدورها تؤثر على المتلقي.

وقد اهتم رمضان حمود في سلسلة مقالاته بالصورة الشعرية.

---

[1] الجاحظ (أبي عمر بن بحر بن محبوب) الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج 2، ط 1، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1938، ص 121-132.

[2] جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط 2، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، 1983، ص 323.

[3] محمد الهادي بوطارن حمود رمضان، شاعر التقليد والتجديد، ص 168-169.

فقد اعتبرها عنصرًا مساعدًا للشاعر على التصوير من فنه فاعتبر أن «الشاعر والمصور أجيران للفن والجمال، وكلاهما مدين بالإجادة والتدقيق في النظر والبحث فهذا في المحسوسات وذلك في الروحيات»[1].

لقد اعتبر كل من الشاعر والمصور أجيران للفن والجمال، وفي هذا دليل على اعتنائه بالصنعة الفنية والطاقة الجمالية، يواصل حديثه فيقول: «فكما أن المصور لا يقدر أن يتقن صورته إلا إذا تزود بجانب وافر من الشعور والإحاطة وكان الشكل أو المنظر الذي يريده أمامه يراه بعيني رأسه، فكذلك الشاعر لا طاقة له على امتلاك العقول والأخذ بأزمة النفوس، إلا إذا أجاد تصوير تلك العواطف الهائلة التي تقوم في ميدان صدره الرحب عندما يريد أن يعرب للسامع عن خاطر من خواطره الخاصة أو العامة كانت »[2].

وهذه المقارنة التي أجراها بين الشاعر والمصور ومعرفة كل منهما مجال عمله لكي تتم عملية الإبداع الفني[3].

ويتجلى الغموض في الصورة الشعرية عند رمضان حمود في ما يلي:

قصيدة «دمعة حارة في سبيل الأمة والشرف»:

بَكَيْتُ وَمِثْلي لا يَحِق لَهُ البُكا عَلَى أُمّةٍ مَخْلوقةٍ لِلنّوازِلِ

بَكَيْتُ عَلَيْهَا رَحْمة وصَبَابةً وإنِيّ عَلى ذَاكَ البُكَا غَيرُ نَادمِ

ذَرَفْتْ عَلَيْهَا أَدْمَعًا مِنْ نَواضِرا تُساهِمُ طُولَ الليلِ ضوْءَ الكواكِبِ

بَكَيْتُ على قَوْمِي لِضُعْفِ نُفوسِهُمْ عَلَى حَمْلِ أَثْقَالِ العُلَى والفَعَائِلِ

بَكَيْتُ عليهم والحَشَا مُنقَطَّعُ بُكائي عَلى طفل ضَعِيف العزائمِ

بَكَيْتُ عليهم إذْ رَأَيْتُ حَيَاتهُمْ مُكَدَّرة مَمْلوءةً بالعَجَائِبِ

بَكَيْتُ عليهم إذْ نَسَوا كُلَّ واجِب ومَالُوا إلى حُبَّ الهَوى والرذائل

---

[1] محمد ناصر رمضان حمود، حياته وآثاره، ص 152.

[2] المصدر نفسه، ص 152.

[3] محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ص 268-269.

بَكَيْتُ عَلَيْهُم كُلَّما هَبَّ حِرْمُهُمْ ... فَظَنُوا بِأَنَّ المَرْءَ عَبْدُ الدَّرَاهِمِ

بَكَيْتُ عليْهُمْ – لاَ أَبا لَكَ – فالبُكَا ... طَبِيْبُ يَبُلُ الصَّدْرَ عِنْدَ المَصَائِبِ

بَكَيْتُ فَلَمْ يُجْدِ البُكاءَ علَيْهُمْ ... فَلَوْنُ الدَّجَى يَمدُوا غَيْرُ حائِلِ

رضوا بحياة الذل والجهل والكرى ... عن العلم فروا والحجى والمكارمِ

فلا سَمِعُوا صوت النبوع يُفِيدهُمْ ... ولا تركوا جو فسِيْحًا لِكَاتبِ

بَكيتُ على شبابنا وغُرُورِهُمْ ... فما بَالُهُمْ لمْ يَهْتدَوُا بالأوائِلِ

بَكَيْتُ على روحِ البِلادِ تَضَاءَلتْ ... بِجَهْلِ وخُذلانِ وكُفْرِ النعائِمِ

بكيتُ على الأيام ثم نُحُوسهَا ... فَعَاشَ كريْمُ النَّفْسِ رَهْن المَخَالِبِ

وَلَمْ أبْكِ جُبْنًا أو مخَافَةَ نَاطِقٍ ... فلي هِمَّة مُنتامةُ لِلجَلائِلِ

تَمُر على المَكْرُوهِ وهي طليقة ... وتلبس ثوب الصّبر عند العظائِمِ

ولكنما أبكي نُفُوسًا ضعيفة ... رَأَتْ خِدْمَة الأوطان لَيْسَ بِواجِبِ

غَفِلْنَا فلم ننظر لما يجري حَوْلنا ... عَلى أن هَذَا الدهر ليس بِغَافِلِ

جُمود وجهل وافتِراق تَجَمَّعَتْ ... عَلينا فَلمْ نَحْفَلْ بِرَفْع الدَّاعَائِمِ

سَلَكْنَا طَرِيقًا للوابل مَصِيرهُ ... نَبَذْنَا حياةَ الشَّعْبِ عَنَّا بِجَانِبِ

كفانا كفانا إفالحَيَاةُ تَبَدلتْ ... ألا اخْتَارُوا ما يَحْلُوا بِخْرِ الوسائلِ

فَسِيْرُوا حَثِيثًا واسْتَرِ فخاركم ... فَبِئْسَتْ حَيَاةُ المِرْءِ تحتَ الأدهامِ

فَإِنْ دُمتمْ فِيمَا أرَى من تخاخل ... فَإِنْ تَبْلُغُوا– والله– أعلى المراتِبِ

سَتُبْدِ لنا الأيّامُ كُلَّ كَرِيْهَةٍ ... إذا نَحْنُ سِرْنَا في طريق الغوافل

فَنَضْحّى بِلاَ عَيْنِ والأذُنِ ولا الحَجَى ... ويُصبِحُ قول الحَقّ نَفْسُ الجرَائِمِ

فَنَبْكي دِمَاءً كُلَّمَا قَامَ دَهْرُنَا ... لِيَخْطُبَ فينا بِالرّدى والنَّوائِبِ

ومَا المَرْءُ إلاَّ بِالعُلُومِ مُعظّمُ ... ولاَ نَالَ بالإهْمَالِ أعْلى المَنَازِلِ

ولا سَادَ قَوْمُ هَمُّهُمْ في ثراهم ... وَلاَ خَيْرَ يأتيهم بِأحْلاَمِ نائِمِ

ومَا ضَاعَ حَق خَلْفَهُ من يُرِيدُهُ ... ولاَ مَاتَ شعب أو هَوَى بِالمَطَالِبِ

في هذه القصيدة «دمعة حارة في سبيل الأمة والشرف» يوجه "رمضان حمود" رسالته إلى شعبه والتي عند تحليل أبياتها نجد فيها بعض الغموض وذلك من خلال الصور الشعرية نذكر منها:

الكناية فقد كان دورها بارزا في الإقناع والتأثير في قصائد "رمضان حمود" وكمثال ذلك على يقول:

وَلَمْ أَبْكِ جُبْنًا أو مخَافَةَ نَاطِقٍ فلي هِمَّة مُنتامةُ لِلجَلائِلِ

تَمُر على المَكْرُوهِ وهي طليقة وتلبس ثوب الصّبر عند العظائِمِ

قال: تلبس ثوب الصبر فكانت هنا صورة أبلغ من أن يصرح بالمعنى مباشرة، لأنها بعثت المتلقي في البحث عن المعنى، حيث جذبت انتباهه وأقنعته بقوة شخصية الشاعر، فرغم البكاء على هذه الأمة إلا أنه يتميز بهمة قوية تصبر عند الشدائد، إذ بعبارة (تلبس ثوب الصبر) استطاع أن يدخل في ذهن القارئ الكثير من الأفكار، وهذا ما يكسبها تأثيرًا قويا في النفس وقيمة بلاغته عالية.

وكناية في البيت الأول في قوله:[1]

بكيت ومثلي لا يحق له البكا على أمةِ مخلوقة للنوازلِ

(مخلوقة للنوازل) كناية عن كثرة المصائب التي حلت بأمته نتيجة الاستعمار الفرنسي.

وفي بيت آخر:[2]

ذرفت عليها أدمعًا من نواظر تساهر طول الليلِ ضوء الكواكبِ

في هذا البيت نجده أيضا يوظف الكناية على كثرة البكاء وطول السهر مع ضوء الكواكب.

وفي:

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ص 268-269.

[2] المصدر نفسه، ص 268-269.

بكيت عليهم –لا أبا لك– فالبكاء طبيبُ يبلُ الصدر عند المصائبِ

(البكا طبيب) كناية عن فائدة البكاء عند المصائب يساعد على التخلص من التوتر والاسترخاء والهدوء والتحكم في الانفعالات ويحد من الشعور بالحزن.

وفي البيت الخامس عشر قوله:

بَكَيْتُ عَلى الأيْامِ ثم نحوسها فَعَاش كَرِيم النفسِ رهن المخالبِ

1-1 الاستعارة

(كريم النفس رهن المخالب) استعارة مكنية صرح بالمشبه المخالب وحذف المشبه به (الأسد) وترك أحد لوازمه وهي صفة الافتراس فهو معروف بالافتراس ومعنى هذا البيت أن الكريم يعيش تحت وطئة أو حكم الأقوى منه.

في هذه القصيدة تجلت صورًا غامضة بحيث نجد "رمضان حمود" قد وظف الصورة مخالفا لما ألفاه الذوق العربي «فالصورة في الشعر الجديد تعتمد على عقلية مختلفة عقلية إنسان العصر الحديث الذي كان يتفوق العلم واختلاف الثقافات تأثيره الواضح على ذهنيته»[1].

والصور الشعرية في شعر "رمضان حمود" هي حسية وشكلية فهو «يميل إلى وصف الأشياء وصفا حسيا يتناول الخصائص الثابتة كاللون والحجم والشكل، والوقوف عند هذه الجوانب التي تعتمد أساسا على حاستي البصر والسمع، دون التغلغل إلى بواطن الأشياء والنفاذ إلى جوهرها باستخدام الحدس والخيال، لا باستخدام الوعي، والمنطق والعقل، إضافة إلى الولع بالزخرفة والتشكيل ووصف الأشياء من خارجها دون محاولة التعاطف معها والامتزاج بها»[2].

وقصيدة «جمال الكون وبدائعه» يتجلى فيها، التصوير الشعري الحسي عند "رمضان حمود" فيقول:[3]

---

[1] محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، د ط، طبعة دار الشروق الأولى، القاهرة، 1994، ص 129.

[2] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 446.

[3] محمد ناصر، رمضان حمود، حياته وأثاره، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1985، ص 178-179.

أُنْظر إلى الكَوْنِ البَدْيعَ بِنُورِهِ وَظلاَمِه وسُكوْنهِ الرُوحَانِي
وَنَسيْمِه وَهُبُوبِه وَمُيَاهِه وَخَرِيْرُهَا، وجَمَالِه الفَتَانِ
وَسَحَابِه بِسَمَائِه مُتَقَطِعَا عِنْدَ الغُرُوبِ وَهو أَحمرُ قَانِ
مَتشَتِتَا كَالفُلْكِ في إِمْسَائِهَا فَكَأَنْه قِطَعُ مِنْ المُرْجَانِ
وَجِبَالِه المُرساةِ فَوقَ مُتُونه تُبْدي جَليًا قُوَةَ الرَّحمانِ
وَنَبَاتِها المُخْضَرِ مِثل زَبَرْجَد يَزْهُو بِزَهْوٍ الرُوح والرّيْحَانِ
أَرْدِيَةً مِنْ سُنْدِسِ فَكَأَنَها مَنْقُوشَةٍ بِالتّبْرِ والِقيانِ
وَجَدَالِ تَحْتَالُ بَيْنَ زُهُورهَا وَمسِيْرها تَنْسَابُ كالثعبَانِ
فإذَا شُعَاعُ النُور صَافَحَ خَذَها وَنَظَرَتَهَا فَورَا بِدُون تَوَانِ
خَلّتْ الّحَيَاةَ سَبَائِكًا منْ فَضَةِ حَبْتْ جَدَاوِل مِن فَضاءِ جِنَانِ

إن غموض الصورة في هذه القصيدة مرده المبالغة في وصف الطبيعة التي هي مصدر إلهام الأدباء والشعراء والفنانين بصفة عامة، فالشاعر "رمضان حمود" صور لنا صورة الطبيعة، فموقفه يتجلى فيه الحسية، فقد وقف يتغنى جمال الطبيعة وبدائعها معتمدًا على الصورة البصرية، وهذا واضح من أول كلمة في البيت (أنظر)، أول ما يلفت النظر في هذه القصيدة أن الشاعر كغيره من الشعراء قام بتشكيل مشاهد، وذلك عن طريق تكثيف مجموعة من الصور المختلفة، والجمال هو عنصر اِشتراك هذه الصور حيث يتخيل المتلقي مباشرة عند قراءة القصيدة – مشهد السهول الممتدة بألوانها المختلفة، ومشهد الجداول التي تنساب بين الزهور كالثعبان ومشهد شعاع الشمس، "رمضان حمود" من المتأثرين بالشعر الأندلسي، خاصة شعر الطبيعة، ومن خلال وصفه للطبيعة نجد معظم صوره الشعرية تقليدية خالية من أي تجديد وإحساس له دور كبير عنده فتكون الصورة الفنية جسر تواصل بين الشاعر والقارئ والمتلقي.

كما نجد الاستعارة التصريحية في قصيدته (أغنية الأم لابنها العائد) فيقول:[1]

[1] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 447.

عاد الحبيب وثغر الدهر مبتسم وبات بحر الهوى بالحب يلتطم

يا حسنها ساعة، قالوا الخليل أتى من فضلها سحبا إلا كدار تنعدم

شبه "رمضان حمود" الأم بالدهر، فحذف المشبه وهو الأم وأتى بلازمة من لوازمه وهي الثغر المبتسم وقد يكون استعمال الدهر إلى طول فترة غياب ابنها، ويفضل هذه الصورة الشعرية الجميلة كانت بلاغة وجمالا في الأبيات، وأصبح المعنى واضح ودقيق، مما أدى اقتناع المتلقي بطول فترة الغياب وانتظار الأم لابنها، وبسبب هذه الاستعارة هي روح الأمل بالحرية والعودة إلى حضن الأم الموجودة داخل نفسية حمود، فلو أردنا إظهار الشبه والإفصاح به لاحتجنا إلى القول: عاد الابن بعد طول غيابه ووجد أمه تنتظره مشتاقة له مبتسمة فهذا التعبير لا يقرب المعنى إلى النفوس، وبتعبير رمضان حمود هذا، أثارت مشاعرنا ونفوسنا، وحركت أذهاننا وعقولنا، ويمكن القول أن هذه الاستعارة كانت صائبة في جلب المتلقي.

أما في قصيدة « موت الغريب آية في البؤس » يقول:[1]

مات من غير على الأجساد نائيا عن دياره والبلاد

قد أتاه المنون والليل هاد فجأة نابه بغير اتعاد

فغدا ساكن الحشا والفؤاد

ما به من علة متى جس نبض بل صحيح ولم يصبه ممض

نام عند المسا، وللعين غمض ولم يقم في الصباح والموت فرض

إن هذا المنون ليث يعض

ويتجلى غموض الصورة في هذه المقطوعة تزخر ببعض المضامين الإنسانية والتي يصور فيها "رمضان حمود" من خلالها صراعه مع الموت حين كان في الغربة وحيدًا، يصف في هذه الأبيات الشعرية حالته النفسية وهو بعيد عن أهله وديارة، فهو بذلك يقاسم ألام مرضه، ومعاناته

[1] محمد ناصر الشعر الجزائري الحديث إتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 449.

مع نفسه ووحدته، فقد مات في غربته، ولم يشم ريح تُراب وطنه، وعنوان هذه القصيدة فيها بعض الغموض الذي يحيل إلى الحزن والألم والعذاب الشديد التي كان يعيشها الشاعر.

واستعمل هنا صورة شعرية تجسدت في كناية في قوله: «والعين غمض» وهي كناية عن النوم الهادئ.

وأورد استعارة مكنية أضفت لهذه القصيدة نوعا من الغموض تجسدت في «أتاه المنون» شبه المنون والذي معناه الموت بالإنسان الذي يمشي وحذف المشبه به وهو الإنسان وترك قرينة دالة عليه ألا وهي صفة المشي على سبيل الاستعارة المكنية.

وفي قوله (إن هذا المنون ليث يعض) شبه المنون بالليث يعض وفي قوله أيضا (بل صحيح ولم يصبه ممض) وفي هذه العبارة كناية عن عدم مرضه وأنه كان في صحة جيدة.

ونظرا لكون الشاعر من الشعراء المصلحين الذين يخاطبون الشعب ويقدمون لهم النصح والإرشاد فنجد أن المحتل الفرنسي كان هدفه إبعاد الشعب الجزائري عن دينه ومعتقداته.

ونجده في قصيدته «علام تلوم الدهر» نجده ناقما على ما يعيشه الشعب الجزائري من ذل وهوان فيقول:[1]

علام تلوم الدهر والله عادل ... وننسب للأيام ما هو باطل

ونملأ وجه الأرض رطبًا ويابسا ... بكاء وهل تجدي الدموع الهواطل

ونجزع المكروه من كل حادث ... وما ذاك إلا ما جنته الأنامل

فلم يظلم الله العباد بحكم ... ولكن كفر المرء قاتل

ونزعم أنا مسلمون وديننا ... به الأهواء والكل ذاهل

إنا فرادى في المكارم والحجى ... ولكن سدا بيننا والفضائل

فكيف يقينا الله من سوء بطشه ... وما هو عما يفعل العبد غافل

قبيح قبيح أن نسير مع الهوى ... ظلال وقد قامت علينا الدلائل

[1] صالح خرفي، رمضان حمود، ص 78.

قبيح بين قومي السكوت وديننا على عزة أنكرته الأفاعل
فإن تنصروني إنني خير ناصر وإن تخذلوني فالشقا وبلابل
أشتت شمل العابثين بحكمتي وما هو شعر ساحر ولا نثرء

في هذه المقطوعة الشعرية يأتي الغموض فيها من تراسل الألفاظ والمضامين فالشاعر فيها يشرب حرارة الدين الإسلامي فنجده يرجع ما يعيشه الشعب الجزائري من ذل وهوان ما هو إلا سبب أفعالنا وتصرفاتنا، فكان يعيش منغمسا في مختلف أنواع الموبقات والانحراف وإتباع الهوى، فكيف يتحسن حالنا ونحن مقبولون على مثل هذه الأفعال المنحرفة والدخيلة عن ديننا.

ويؤكد على أن الله تعالى ينصر من نصر دينه وتمسك به وبتعاليمه وجاهد في سبيله وأما من ابتعد عنه وألقاه خلف ظهره، فلن يلقى إلى الشقاء والبؤس والبلاء.

والدارس للصورة الشعرية عند "رمضان حمود" يجدها عنصرًا مهما في قصائده فقد ارتكزت على الغموض في بعض قصائد كي يحقق مبتغاه وهدفه، إلا أنه لم يُولها الاهتمام الكافي فهو « يميل إلى وصف الأشياء وصفا يتناول الخصائص الثابتة كاللون، والحجم والشكل، والوقوف على هذه الجوانب التي تعتمد أساسا على حاستي البصر والسمع دون التغلغل في بواطن الأشياء والنفاذ إلى جواهرها باستخدام الحدس والخيال، لا باستخدام الوعي والمنطق والعقل إضافة إلى الولع بالزخرفة والتشكيل ووصف الأشياء من خارجها دون محاولة التعاطف معها والامتزاج بها »[1].

وفي قصيدة « الحرية » لرمضان حمود:[2]

لا تلمني في حبها وهواها لست أختار ما حييت سواها
هي عيني ومهجتي وضميري إن روحي وما إليه فهداها
إن عمري ضحية لأراها كوكبا ساطعا ببرج علاها

[1] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 446.
[2] صالح خرفي، حمود رمضان، ص 7.

فهنائي موكل برضاها وشقائي مسلم بشقاها
إن قلبي في عشقها لا يبالي تنطوي الأرض أم يخر سماها
قد قضى الله أن تكون كصوت وقضى أن يرد روحي حداها
إن في عشق رحمة وعذابا وعذاب العشيق شوب جناها
لم أنل من حبيبي إلا صدودا وصدود الحبيب نار وراها
هجرتني من غير ذنب ولكن كل ذنبي في كون قلبي اِصطفاها
قيدتني وخلتني أسيرًا في يد الوجد محرقا بلظاها
فارقتني بلا وداع وخافت من وداعي تعلقي برداها
تركتني ولم تراع هيامي عذبت مهجتي بشحط نواها
هكذا سنة المحبة تقضي بشقائي ما دمت أبغي لقاها
إيه يا دهر فارقتني بقلب يحمل الخطب والهموم سواها
أيها الطائر المحلق فوقي هل أجد فيك حكمة وانتباها
أترى هل تكون مني رسولا يحمل السر للحبيب وجاها
بلغتها مقالة من صديق حيث تأتي ديارها وتراها
إن ذلك الكئيب ما زال خلا يحفظ الود والعهود قضاها
أتمنى بأن أراها فما أحلى وصالا يكون فيه رضاها
كاد حبي لها يبدد حسمي بسهام بين الضلوع رماها
قل لها ما شهدت مني جميعا فعساها ترثي لحالي عساها[1].

في هذه القصيدة عدة صور شعرية منها الاستعارة المكنية فقد ساعد ورودها في القصيدة جعل الأسلوب التعبيري الصياغي أكثر اِيحاء لما تمتلكه من قوة التكثيف والرصد الحركي للحركة وغموضها هو سر جماليتها.

[1] المصدر السابق، ص 7.

في البيت 13: (هكذا سنة المحبة تقضي بشقائي): شبه سنة المحبة بالإنسان الذي يقضي ويصدر الأوامر، فحذف المشبه به وهو الانسان وترك لازمة تدل عليه وهي "تقضي"، فالشاعر هنا صور المعني تصويرًا يجعل من السامع يتأثر به ويحس بما يعانيه من شقاء وعذاب.

في البيت 14: (إيه يا دهر فأرفقن بقلب): شبه الشاعر هنا الدهر بالإنسان الذي يرفق ويعطف فحذف المشبه به "الإنسان" ورمز له بأحد لوازمه وهو "الرفق" إن الشاعر في هذا التصوير بين لنا قوة ما يحس به من عذاب وآلام، فلذلك نجده يلجأ إلى الدهر ليستعطفه ويرفق بحاله المهموم.

في البيت 16: (أترى هل تكون مني رسولا، يحمل السر للحبيب وجاها): شبه الطائر وهو مخلوق غير عاقل بالإنسان العاقل الذي يحمل الأسرار ويحفظها، فحذف المشبه به وهو الإنسان، وترك قرنية دالة عليه وهو الرسول الذي يحمل السر والجاه فتبرز بذلك بلاغة المعنى من خلال استعمال الشاعر للتشخيص في هذه الصورة البيانية باعتباره هذا الطائر يحمله رسالته إلى المحبوب الجافي.

البيت 20: (كاد حبي لها يبدد جسمي): استعارة مكنية شبه فيها الشاعر حبه بالإنسان الذي يرمي سهامه صوب العدو فيقتله، فحذف المشبه به وهو الإنسان وترك قرينة تدل عليه وهي الرمي بالسهام فبين الشاعر من خلال هذه الصورة البيانية ما وصلت إليه حالته جراء هذا الحب.

كانت الاستعارة المكنية في هذه القصيدة بمثابة الأداة الساحرة تغدو بين يدي الشاعر ليجلب بها العقول ويستولي بها على الألباب.

وتجسدت الكناية في هذه القصيدة لـ "رمضان حمود" في:

البيت الخامس: (تنطوي الأرض أم يخر سماءها) كناية عن حبه الشديد لها، فهو في حبها لا يبالي إن تنطوي الأرض أن يخر سماها.

البيت السابع: (حدود الحبيب نار ورآها) كناية عن العذاب والألم اللذان يلازمانه جراء حدود الحبيبة وهجرها له، فدستور المحبة والعشق يقضي بالضرورة إلى العذاب والألم.

البيت العاشر: (قيدتني وخلتني أسيرا، بيد الوجد محرقا بلظاها) في هذا البيت كناية عن قوة الألم والعذاب اللذان جعلا من الشاعر محرقا بلظاها أسيرا لعشقها وحبها.

البيت الحادي عشر: (فرقتني بلا وداع وخافت من وداعي تعلقي برداها) كناية عن تمسكه الشديد بها وبحبه لها.

من خلال ما سبق نجد أن الكناية ساهمت في تجسيم معاني الحب والعذاب وتضخيمها في نفوس السامعين، ووضعها في صورة محسوسة غامضة تثير الانفعال والإعجاب، كما نقلت الالفاظ من صورها المجردة إلى ما هو أجمل في القول وأنس للنفس.

التشبيه المرسل: وهو التشبيه الذي تذكر فيه أداة التشبيه.

ونجده ورد في البيت السادس من خلال قوله: (أن تكون كصوت وقضى أن يرد روحي صداها) فشبه الشاعر من خلاله محبوبته بالصوت وهو تشبيه مفصل ذكر فيه وجه الشبه وهو رد الروح للشاعر.

استناد إلى ما سبق تبين أن التشبيهات السابقة من وسائل البث التعبيرية التصويرية، والتي لجأ إليها الشاعر إلى شرح ما يجول في خاطره وخياله، ويصف محبوبته وما يكنه لها من حب، فلم يعمد إلى نقل آيات الجمال والحب فيها نقلا جامدًا لا حياة فيه، فقد يسيء هذا النقل إلى صورتها الراسخة في أعماق فؤاده، وقد لا يقع هذا النقل في نفس سامعة أو قارئة الوقع السن، وإنما لجأ إلى فن التشبيه الذي طار به الشاعر إلى سموات عليا وغمس أبياته بتلك العاطفة الفوارة النابضة بالحرارة وآلاء الحياة، ومن مجموع هذه العناصر تركبت الصورة، وظهرت حتى تلمسها وتراها العين رغم أنها صورة متخيلة ليس إلا.

2-1 التشبيه:

وإذا ذهبنا إلى مفهومه الدقيق فمن المعروف أن التشبيه علاقة مقارنة بين تجمعها صفة مشتركة، وهذا التعريف موجود منذ القديم، والدليل على ذلك قول الجرجاني: « إن التشبيه هو مخصب مقارنة بين طرفين متمايزين، الاشتراك في الصفة نفسها، أو في مقتضى وحكم لها»[1].

ويتجلى غموض التشبيهات عند "رمضان حمود" في عدة نماذج من شعره ومن هذه النماذج قصيدة « نعم الجود وبئس ما تركوا »، في هذه القصيدة نجده قد استعمل كلمات غامضة في التشبيه فيها بعض اللبس والغموض تحتاج إلى شرح.

ورد في البيت الأول:

أيها العرب والخطوب حسام دون هذا العناء موت زؤام[2].

في هذا البيت الشعري نجده يخاطب العرب وأنهم يعانون المصائب الكثيرة فبدونها يستحقون الموت الكريهة أو السريعة كما شبهها "رمضان حمود"، وشبه كثرة المصائب "بالخطوب الجسام" ودلالة الجمع في هذا التشبيه توالي وكثرة المصائب على العرب ليبرز مدى معاناة العرب.

وفي البيت الثاني:

أيها العرب والحوادث جاءت ممطرات كأنهن غمام

يشبه الشاعر توالي الحوادث وكثرتها بالمطر والغمام هو تساقط حبات البَرد أي حبات ثلجية التي تسقط مع المطر ودلالة الجمع لعظم الحوادث التي أصابت العرب.

إن نفسي إلى المكارم تصبو ولها في سما البيان هيام

---

(1) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمد شاكر أبو قهر، ط 1، دار المدني، جدة، 1991، ص 77.

(2)

ونجده يشبه حبه للعلا والافتخار بالتسامي وأن نفسه تواقة محبة للمكارم ثم يشبه قوة شعره في النهوض بأبناء بلده بالنفخ في الروح، والنفخ في الروح في ديننا هو لحظة دخول الروح في جسد الجنين كذلك شعره الذي يقوم بتوعية الشعب الجزائري.

في البيت السابع:

أنفخ الروح في القلوب بشعري ليت شعري وهل تقوم النيام[1].

ويشبه مدى هضم شعره من طرف المتلقي بإضرام النار دليل على سرعة استيعاب وتأثيره شعره في السامع بقوة ألفاظه، ويبالغ في تشبيه أشعاره بالجمود بقوله إذا لم يحل الأمان (ظرام) فسيرسل شعره للنضال، أي أنه بواسطة قلمه يحارب المستعمر في مكان الجنود.

وفي البيت الحادي عشر:

رب إن الهدى هداك وأيا تك نور بها يزول الظلام[2].

يشبه الهدى بالنور الذي يزول به الظلام ويسقطه على الشعب الجزائري في مدى تقبله لضرورة الثورة والجهاد، شبه الثورة بالنور، فنجاح الثورة يشبهه بالنور الذي يضيء الكون ويزيل عليه الظلام.

في البيت الرابع عشر في قوله:

سقط الخصم تحتكم مستريحا من أمور يشيب منها الغلام[3].

في قوله هذا كناية (من أمور يشيب منها الغلام) عن المصائب والأحزان التي تشيب الغلام في غير وقت شيبه.

---

[1] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 197.

[2] المصدر نفسه، ص 197.

[3] المصدر نفسه، ص 197.

والبيت الخامس عشر:

وحكمتم بين الأنام بعدل ربع الأرض حينها والشام[1].

يضم هذا البيت كناية عن مدى اتساع الفتوحات الإسلامية. والمكانة العالية التي بلغها المسلمون شبهها بالنجوم ومدى علوها، نجده في هذه الأبيات يستذكر مكانة العرب قديما سواء في الحكم أو في العلوم فبواسطته بنوا القصور وجعلوا العالم يحير فيه ثم يعود ويستذكر أن هذا كله مضى وأن البقاء لله سبحانه وتعالى.

وفي البيت الثاني والعشرون:

فارقونا بجسمهم فاستراحوا وأياديهم لدينا جسام[2].

وفي هذا البيت كناية عن الأثر الطيب الذي تركوه الأجداد والمكانة العالية.

كما ورد تشبيه في البيت الواحد والثلاثون:

لرثيم حالنا وبكيتم طول دهر حتى ينال الحرام[3].

في هذا القول كناية عن طول مدة البكاء.

وتشبيه الوارد في البيت الرابع والثلاثون في قول:

علموهم وسيلة ليعيشوا كبدور تحفها الأجرام

شبه قمة النجاح التي يصل إليها كالنجوم التي تحفها الأجرام وهذه الصورة أسقطها على الشعب الجزائري الذي يحثه على طلب المكانة العالية في النجاح وأن لا يرضى دون ذلك بحيث يكون هو المركز الذي شبهه بالبدر الذي تدور حول الأجرام.

---

[1] المصدر نفسه، ص 197.

[2] محمد ناصر، رمضان محمود حياته وآثاره، ص 198.

[3] المصدر نفسه، ص 198.

والبيت السابع والثلاثين في قوله:

لا يغرنكم سكوت الزمان فهو ليث وإن عليه ابتسام[1].

في هذا البيت تشبيه تمثيلي فقد شبه الزمان بالليث المبتسم فبهذه الصورة يقرب المعنى أكثر للقارئ.

ومن غموض التشبيهات ما نجده في قصيدة « شعبي الكئيب » وفيها يقول:[2]

مالي شعبي الكئيب بات حزينا يُرسل الدمع تارة والأنينا

بات يشكو الهوان والليل داج مثل حظ الشقي والبائسينا

بات يحصي النجوم والدمع ينسا ب على الجنتين دمعا هتونا

بعد قراءة هذه الأبيات الشعرية نجد أن "رمضان حمود" لو بقي على قيد الحياة لأدرج ضمن مصاف شعراء القومية، حيث كانت المواضيع التي تناولها في قصائده تعبيرًا عما تعتريه مشاعره نظرًا لارتباطه الوثيق بشعبه ومحاولته مشاطرته الألم والأحزان التي تعيشها أمته.

نجد تشبيهه لشعبه بالكئيب ومن شدة حزنه يبكي ويأن ويشكوا الهون (الذل) ويرافقه في ذلك الليل وهذا حظ الشقي وغير المحظوظ.

(بات يحصي النجوم) كناية على عدم النوم ليلا ويشبه غزارة البكاء بالهتون الذي هو السحاب كثير المطر.

ونلمس جمالية في تشبيهات يتخللها لمسة من الغموض في قصيدته الموسومة بـ « أهلا وسهلا بالنبي محمد » فيقول:[3]

الكوْنَ أَشْرَقَ بَعدَ طُولِ ظَلاَمِه تَيَقَظَ الوّسْنَانَ مِن أَحَلاَمِه

وَهَذَا نَسيم عَلى الغُصُونِ مُغازِلاً فَتَفَتَقَ النُوارُ في أَكمَامِه

---

[1] المصدر نفسه، ص 199.

[2] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 141.

[3] صالح خرفي، حمود رمضان، ص 60.

والَروضَ أَزّهرَ والوَرّدَ تَبَسَمت وَالجَوَ جَادَ سَحَبِه وَغَمَامِه
والشَّمْسَ تنشُرُ في السَمَاءِ نَضارِهَا والرِيّحُ يُزّفِرُ من عَظِيّمَ هُيَامِ
والمَاءَ يَجّرِي في الجّدَاولِ عَازِفًا والطَيّرُ يَرقُصُ من هَوى أَنّغَامِه
والسرْدُ يَشّمَخُ للسَمَاءِ بِأنْفِه والظِلُ مُمتَدُ عَلى أَقْدَامِه

في هذه المقطوعة الشعرية نجد "رمضان حمود" يستخدم معجم الطبيعة وهذا من الكون، النسيم، الورود، الجو، الشمس، الورد، السحاب، الغمام، الريح، الماء، الطير، السماء... فالشاعر هنا يصف حال الكون بقدوم النبي، وأن مجيء النبي إلى هذه الحياة قد جعل عناصر الطبيعة كلها في سعادة فنجده أبدع في تشبيهاته وأوصل لنا شعوره وحالته النفسية لقدوم النبي صلى الله عليه وسلم.

فَجُل هذه الأبيات تبرز قوة التشبيه عند الشاعر:

والقارئ لقصائد "رمضان حمود"، يجده يوظف الصور البلاغية لما تتميز به من أهمية على المتلقي.

فهذا تشبيه بليغ نجده في أبيات ثلاثة متتالية في قصيدة «الصحافة»:[1]

هي الفؤاد لشعب قد غدا سكنا هي الحسام طويل الحول والحيل
هي اللسان لها حكم وسيطرة هي الرسول لدى الأجناس والدول
هي الطبيب يداوي من به مرض من الجهالة، أو الميل إلى الزلل

فهنا الشاعر يبين مدى أهمية الصحافة، واستعماله لتشبيه البليغ ليقرب هذه الأهمية أكثر للمتلقي.

فشبه الصحافة بالفؤاد، لأنها في وقت الظلم والاستبداد كانت فعلا تنقل ما في قلب المواطن الجزائري، ولم يكن الجهاد بالعمل المسلح، فقد كانت الصحافة والإعلام جهاد كذلك، بنقل الأخبار،

[1] صالح خرفي، حمود رمضان، ص 61.

فقد شبهها بالحسام، أما اللسان والرسول فهما لفظتان دالتان على أنها تعبر وتنقل واقع الوطن، كما أن من أهداف الصحافة أنها تنشر الأخبار بغية معالجتها فهي الطبيب كما قال "حمود رمضان".

وبالتالي كان هذا التشبيه موظفا توظيفا دقيقا، خدم المعنى حيث ربط بين خياله وتعبيره ووائم بين عنصري التشبيه رغم ابتعاد الصحافة عن الفؤاد والحسام واللسان والرسول والطبيب حيث جمع بينهما بطريقة تجعل المتلقي يقف عندها ويولد الناقص، « وعليه كان التشبيه موقعا حسنا في البلاغة وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي و.... البعيد من القريب فيزيد المعاني رفعة ووضوحا، ويكسبها توكيدًا وفضلا، ويكسوها شرفا ونبلا، فهو فن واسع النطاق، فسيح الخطوة، ممتد الحواشي، متشعب الأطراف، مُتوعر المسالك، غامض المدرك، دقيق المجرى غزير الجدوى »[1].

فبهذه التشبيهات أفلح رمضان حمود في جلب انتباه القارئ، إضافة إلى أنه عندما يقرأ المتلقي هذه العبارات، لا يجد لا وجه الشبه ولا أداة، فيخيل له أنها فعلا هي الفؤاد والحسام واللسان والرسول والطبيب، مما يولد في نفسه إثارة فيبدأ بإكمال الناقص من الكلام، وهذا يعد خطوة نحو الاقتناع بأهمية الصحافة لدى الإنسان.

كذلك نجد تشبيهات بكثرة في قصيدة «جمال الكون وبدائعه»[2]

ومنها التشبيه التمثيلي في البيت الموالي:

وجداول تختال بين زهورها بمسيرها تنساب كثعبان

نعلم أن «التشبيه التمثيلي هو تشبيه صورة بصورة »[3] ونلاحظ في هذه الأبيات أن الصورة الأولى تمثلت في الجداول التي تسير بين الزهور شبهها بصورة الثعبان، وهذا التمثيل يجعل

(1) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: حسن أحمد، د ط، دار الجيل، د ت، ص 219.

(2) محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، ص 178.

(3) عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم البيان، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص 105.

المتلقي يتخيل هذه الصورة بتفاصيلها، لأن المتلقي عادة يُعجب ويُطرب بهذا النوع من الصور الشعرية التخيلية الدقيقة.

فلكي يبين "رمضان حمود" منظر سريان الماء بين الزهور، شبهه بصورة مألوفة لدى المتلقي وهي صورة انسياب الثعبان، وبالتالي كانت الصورة المعبر عنها صورة طبق الأصل ولعل ما زاد هذه الصورة جمالا هو الحس، لأن شاعرنا هنا يريد إثبات الحجة في نفسه بجمال الطبيعة نظرًا لحسه الكبير لوطنه، فرتبها وبعثها للمتلقي في حلة جميلة تؤثر فيه. فإن عبر رمضان حمود عن جمال الوطن الجزائر باستغنائه عن هذا النوع من التشبيه، لا يستطيع تحقيق مبتغاه، وكان الشكل غير مرغوب ولا يحقق التأثير في المتلقي رغم أنه يدرك جمال الطبيعة، وعليه « نقع على الأنس الحاصل بانتقالك في الشيء عن الصحة والخير إلى العيان ورؤية البصر، ليس له سبب سوى زوال الشك والريب، فأما إذا رجعنا إلى التحقيق فإنا نعلم أن المشاهدة تؤثر في النفوس مع العلم بصدق الخبر، كما أخبر الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام »[1].

في قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[2].

وفي قصيدة « نغمة الشباب » يقول:[3]

نهوضا نهوضا نهوضا بني جلدتي! إذا ما ونحن بطي الخبر!

الام وفي الأسر أرواحنا ونحيا هوانا حياة البقر؟

أنمسي ونصبح في حسرة وننسب ذاك الشقا للقدر

في هذه الأبيات الشعرية نجد الشاعر غير راضي للحياة التي يعيشها شعبه إذا نجده ينادي أبناء بلده بالنهوض وترك الماضي ونجده يشبه حياتهم بحياة البقر وأنهم ينسبون الشقاء للقدر.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 60.

[2] سورة البقرة، الآية، 260.

[3] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 217.

وفي قصيدته « الخيبة الكبرى » ناقمًا على الذين يكثرون الكلام دون الفعل، فإذا كانوا رخاء وجدتهم رجالا أسود، وإن حلت مصيبة وعمت البلوى رجعوا على أدبارهم خائفين فيقول:[1]

تراهم في الرخا، أسد غطارفة إن حل خطب على أعقابهم رجعوا
لا بارك الله في قول بلا عمل فإنهم بحديث الليل قد ولعوا

في هذا المقطع الشعري بليغ فنجده يشبه الذين يكثرون الكلام دون فعل بأسود غطارفة يزعمون القوة والكرم فكلمة غطارفة تظفي بعض الغموض لهذه الأبيات فهي بعيدة عن استعمالنا اليومي.

وفي نفس السياق نجد أيضا في قصيدة « شعب كئيب »:[2]

عجل النصر للبلاد فإنا لمهاوي البلا نساق عزينا

نجد الشاعر قد استعمل كلمتين تثير القلق لغموضهما، مما شكل ذلك عسر في فهم المحتوى، وقد تمثلت هذه الكلمتين في نساق عزينا، ومعنى البيت أن الشاعر يطلب ويتمنى النصر للبلاد وأنه لمهاوي البلا أي لسقوطهم وتعثرهم سوف يواسوا ويصبروا على ما أصابهم.

وفي رثاء أبو اليقظان فيقول:[3]

إليك يا محرر وادي ميزاب

لله در أبي اليقظان نابغة في عصره فهو ليث الغاب والأسل
حامي البيان إذا سالت محاجره فوق الطروس بجزل القول والغزل

تحتوي هذه الأبيات تشبيهات عدة فنجد "رمضان حمود" يشبه أبي اليقظان بالنابغة في عصره نظرًا لإنجازاته فهو صحفي جزائري وشاعر ومؤرخ، ودارس اجتماعي وعالم بالشريعة

[1] المصدر نفسه، ص 140.
[2] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 141.
[3] المصدر نفسه، ص 53.

الإسلامية، ورائد من رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر، ترك إنتاجا ضخما يقارب الستين مؤلفا ما بين رسالة وكتاب أعجب به الشاعر "رمضان حمود" فعند موته كتب فيه قصيدة كاملة عنه فشبهه بالمحرر وادي ميزاب والنابغة بالليث الغاب والأسل وهذا لقوة الليث والأسل هو نبات شديد الاستقامة ويقول فيه أنه حامي البيان بمعنى حامي الفصاحة واللغة فوق الطروس وهو الصحيفة وقول الشعر.

وفي قصيدة أخرى نجده استخدم لغة غامضة وتتمثل في قوله «قصيدة لماذا تحيا البلاد»[1].

لا ينال الحياة إلا القدير وكريم الأخلاق ليث مصور
زينوا علمكم بفضل وخلق ليس يبلى السري وتبلى الدهور
إنما الناس بالمكارم تحيا وتموتون بالضنا والفجور
حكموا العقل واجعلوه إماما قيمة المرء عقله والضمير
نحن نحتاج للمكارم يوما عن كبونا فالويل ثم الثبور

يمكن البيت الأول على غموض تمثل في التشبيه البليغ (كريم الأخلاق ليث هصور) شبه الشاعر صورة كريم الأخلاق بالليث الهصور أي الليث المفترس وصفه المصور دائما ما تنسب للأسد لأنه هو الذي يفترس ويكسر فريسته، وهذا التمثيل يجعل المتلقي يتخل هذه الصورة بتفاصيلها لأن المتلقي عادة يعجب ويطرب بهذا النوع من الصور الشعرية التخيلية الدقيقة.

ونجد الشاعر في التحليل من الأحيان يستعمل بعض الألفاظ التي تنتمي إلى المعجم الشعري القديم مثل لفظة ضرام في قوله:[2]

واتخاذي الحق دينا بين أقوام طغام
رب إن الروح مني ضاق من حر الضرام

[1] صالح خرفي، حمود رمضان، ص 72.

[2] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 43.

في هذه المقطوعة الشعرية نلحظ استعمال كلمتين غامضتين تمثلت في طغام –الضرام بعيدة عن استعمالنا اليومي فيقول أنه اتخذ الحق منهجا له بين قوم أرذال وفاسدين وأن روحه مشتعلة بالنار.

وفي بيت آخر نجده أيضا يصور مشهد غامض إلى المتلقي فيقول في قصيدة «الرجل بنفسه»:[1]

فهاته غايتي أبلغها وأبتني منزلا في دارة الحمل

في هذا البيت الشعري يتمثل غموض الصورة في المبالغة في التشبيه حيث نجد "رمضان حمود" يشبه المكانة العالية التي يرغب في الوصول إليها بدارة الحمل فهذه الكلمة من القاموس القديم فيها لبس وغموضا في عصرنا الحالي فهي قليلة الاستعمال أو تكاد تنعدم في استعمالاتنا ومعناه الدارة هي ما يدور حول الشيء والحمل هو أول برج الكواكب وهي مكونة من ثلاث نجوم لامعة على شكل مثلث، الحمل ينتمي إلى دائرة البروج "رمضان حمود" في هذا التشبيه قد أبدع بكل معنى الكلمة فقد قدم لنا مشهد تخيلي جعل من القارئ يتخيل هذا التصوير والابداع الفني في قدرة الخالق سبحانه تعالى:

وفي قصيدة « الحرية » نجد أن "رمضان حمود" استعمال نوعين من التشبيه هما: البليغ والتشبيه المرسل، إلا أن الغلبة في الاستعمال كانت لتشبيه البليغ.

التشبيه البليغ: ونجده قد ورد في الأبيات التالية:

البيت الثاني:

هي عيني ومهجتي وضميري إن روحي وما إليه فداها

[1] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 178.

حيث شبه الشاعر هنا محبوبته بعينيه ومهجته وضميره وحذف الشبه والأداة، وكأنه لو وقع بينه وبينها أداة الشبه ووجه الشبه لأجحف في حق محبوبته، لذلك فلم يجعل حاجزا بينه وبينها وشبهها بأعز ما يملكه الإنسان.

البيت الثالث: في قوله:

إن عمري ضحية لأراها كوكبا ساطعا ببرج علاها

شبه الشاعر هنا عشيقته بالكوكب الساطع وحذف أداة التشبيه ووجه الشبه، فأراد من خلال هذا التشبيه إبراز محبوبته في أحسن صورة وأبهاها وترك لغيره أن يتصور جمال فاته على الصورة اتي يعشقها في المرأة عن طريق وجه الشبه المتخيل ووجه الشبه هنا هو النور والعلو.

البيت السابع: (عذاب العشيق شوب جناها)، شبه عذاب العشيق بالشوب وحذف أداة الشبه ووجه الشبه، فنقل الشاعر لنا من خلاله ما يعانيه من عذاب وآلام، ووصل بذلك إلى نفس سامعة أو قارئه وأثر فيه، وذلك هو غرض الشاعر ومبتغاه.

البيت الثامن: (صدود الحبيب نار وآثاره) شبه الشاعر هنا صدود حبيبه بالنار وحذف أداة التشبيه ووجه الشبه، فكان تصويره لصدود حبيبه من خلال هذا التشبيه أحسن تصوير وأشده وقفا في نفس السامع أو القارئ، ووجه الشبه بينهما يكون في احتراق الشاعر بنار الحب ونار الصدود مثلما تحرق النار أي شيء يلامسها.

ثانيا. جمالية الرمز

الرمز

بات استخدام الشعراء المحدثين للرموز في شعرنا المعاصر أمرا ضروريا، وذلك لما تحمله هذه الآلية من أبعاد دلالية وفنية ترقى بالشعر إلى مستويات عظيمة وتجعله قريبا إلى نفس المتلقي إذ وظفت على الوجه الصحيح بعيدًا عن الإغراق والتعتيم.

فالشعراء لم يلتفتوا إلى الأشياء المادية التي ترمز إليها أو إلى ما تملكه تلك الأشياء من ألوان وظلال وروائح، وإنما سعوا إلى ما تعكسه تلك الأشياء في نفس المتلقي من حالات شعورية ذات أبعاد إيحائية وذلك لأن الرمز ما هو إلا وجها مقنعا من وجوه التعبير بالصورة

ويمكن الكشف عن الوظيفة التي يؤديها الرمز في السياق الأدبي بالسؤال عن حاجة استعمال الرمز، ولا شك أن جزءا من الإجابة يكمن في سمات الرمز نفسه بما يحمله من قدرة على الإيحاء يستكشف القارئ من خلالها معنى خفيا خلفه، فالرمز معناه الإيحاء أي التعبير الغير مباشر عبر النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى على أدائها اللغة في دلالاتها الوضعية، وما يمتلكه من فعل مؤثر في إغنائه دلالة النص حين يعمل في مجاله الفني الصحيح فالفن أكثر الميادين التي يحل فيها الرمز محل الأشياء، كما أن الرمز يسهم في تلاؤم أجزاء العمل الأدبي وترابطها، ويجعله قادرا على إثارة انفعال القارئ.

وما دامت الحاجة قائمة لاكتشاف الرمز وتوظيفه، فإنها تدعوا كذلك إلى تكرار الرمز الواحد لإغنائه ومنحه مزيدا من القدرة على التأثير بإعطائه دلالات جديدة.

ومن الرموز الأكثر استعمالا في شعر "رمضان محمود" ما يلي:

1/ الرمز الطبيعي:

ثمة ظاهرة طبيعية يتفق حولها الشعر المعاصر، وهي استخدام الرمز الطبيعي، لما يَحمله من جدة دلالية لأنه عادة تعبيرًا عن واقع يعيشه الشاعر ووسيلة يهدف إليها لتصوير مشاعره النفسية، كانت الطبيعة ولا زالت مصدر إلهام الشعراء والفنانين ومنبعهم الذي لا يجف، فالشاعر المعاصر اتخذ من المظاهر الطبيعية رموزا تعبر عن مشاعرهم وحالتهم النفسية والتي تختلف من شاعر إلى آخر، وفي مفهومها من قصد إلى آخر[1].

[1] عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ص 171.

ونظرا لكون "رمضان حمود" من الشعراء المجددين والذين ينتمون إلى النزعة الرومانسية نجد يستخدم الطبيعة كرموز في شعره تعبيرًا عن حالته النفسية ومشاعره، فمعجم الطبيعة حاضر وبقوة في أشعاره.

ولما كان عدد الرموز المستخلصة من شعر "رمضان حمود" كبيرًا فقد اقتصرت على الرمز المهيمن منها داخل المتن الشعري وخاصة ذي الدلالة المتجددة داخل السياقات المختلفة خصوصا ما أخصبته تجاربه الحديثة مثل: البحر، القمر، الريح، المطر.

1-1 رمزية البحر:

توحي صور البحر بالقوة والعظمة والغموض، وهو من العناصر الطبيعية التي وردت بكثرة في الكتابات الإبداعية المعاصرة.

تميز "رمضان حمود" استعماله لرمز البحر تبعا لسياقات، إذ نجده يحتل مساحات مهمة في متنه الشعري ويخترق جملة من الصورة الاستعارية، ويحضر رمزا نابضا بالحياة وجاء في قوله من قصيدة « أطلبوا العز وعيشوا كرماء »[1].

أنظروا الغرب بعلم ما بنى من قصور شامخات للعلاء
عاش في الأرض كلبين الباسل ينظر الناس بهزء وازدراء
طار في الجو كالنسر وطما فوق لج البحر كبناء
ملك الدنيا وما تبعها من تراب ومياه وهواء

تجاوز البحر في هذه الصورة الاستعارية بعده الحسي حيث استعمل لغايات خرج فيها عن مدلوله المباشر، منح وجوده في هذه الأبيات عدة دلالات إيحائية "فرمضان حمود" في هذه القطعة الشعرية نجده يُذكر الشعب بالغرب وما وصل عليه من تقدم وازدهار بفضل اهتمامهم بالعلم والمعرفة رغم الصعاب التي واجهوها وصور هذه العراقيل وجسدها في صورة "لج البحر" فمعنى

[1] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 199.

"لج البحر" هو بحر يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها بهذه الصورة التمثيلية صور كيف وصلوا إلى ما هم عليه اليوم.

2-1 رمزية الريح:

إضافة إلى رموز أخرى شكلت حضورًا في الشعر العربي إجمالاً كرمز "الريح" الذي يمكن اعتباره ثاني رمز يستقطب الشعر الجزائري بعد "اللون" والريح عامل طبيعي مهم ارتبط بالإنسان منذ القدم فحمله دلالات متعددة ترتبط كلها بالريح كمؤثر طبيعي من شأنه أن يغير ويهدم ذلك أن عملية الهدم تعد إحدى مصاحبات التغيير، وشعراؤنا في توظيفهم للريح لم يخرجوا عن هذا المفهوم والدلالة.

يقول "رمضان حمود" في وصفه للطبيعة:[1]

فهذا خرير الماء شعر مرتل وهذا غناء الحب ينشده الطير
وهذا زئير الأسد تحمي عرينها وهذا صفير الريح ينطحه الصخر
وهذا قصف الرعد في الجو ثائر وهذا غراب الليل يطرده الفجر
فذاك هو الشعر الحقيق بعينه وإن لم يذقه الجامد الميت الغر

إن دلالة كلمة "الريح" في هذه القطعة الشعرية جاء ليكمل وصف رمضان حمود للطبيعة فحضوره لم يكن محوريا بل رمزا ثانويا لكنه مهم في إثراء دلالة النص، ونذكر هنا أن الرمز عموما ينطوي في جوفه كل دلالة التغيير، الذي لا يتم إلا بالحركة والتي لا تنجح بدورها إلا بفعل عملية هدم كلي أو جزئي بشكل من الأشكال.

وفي سياق نفسه نجد رمضان حمود يبدع في وصفه للطبيعة بقوله في قصيدة « أهلا وسهلا بالنبي محمد » فقال:

والروض أزهر، والورد تبسمت والجو جاد يسحبه وغمامه

[1] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 188.

والشمس تنشر في السماء نضارها والريح يزفر، من عظيم هيامه[1].

كذلك يستعمل الشاعر "رمضان حمود" (الريح) هنا للتعبير عن جمال الطبيعة وفرحها بقدوم النبي عليه الصلاة والسلام.

3-1 رمزية الليل والظلام والدجى:

إن الظلام والليل والدجى ألفاظ تلتقي عند مدلول واحد فقط جاء في لسان العرب "الظلام" أول الليل وإن كان مقمرًا يقول: أتيته ظلاما أي ليلا وليلة ظلمة، وظلماء: شديدة الظلمة وأظلم الليل: أسود وليلة ظلماء، ويوم مظلم: شديد الشر... وأمر مظلم: لا يدري من أين يؤتي به... والعرب تقول لليوم الذي تلقى فيه شدة يوم مظلم، حتى إنهم ليقولون يوم ذو كواكب أي اشتدت ظلمته حتى صار كالليل[2].

أما الليل فقد ذكره الخليل بن أحمد الفراهيدي قائلا: «ضد النهار والليل: ظلام وسواد والنهار النور والضياء ينهر، أي يضيء،... والليل إذا أظلم »[3].

أما **ابن منظور** فيقول بعدما بين أن الليل هو الظلام وليلة ليلاء وليلى: طويلة شديدة صعبة، وأما الدجى فمعناها لا يختلف كثيرًا عنهما حيث جاء في الصحاح: الدجى سواد الليل مع غيم، وأن لا ترى نجما ولا قمرًا، وهكذا نجد أن الليل إنما ظلام، والظلام هو الليل، والدجى هو سواد الليل، وبالتالي فكل لفظ قد ينوب عن الآخر ويأخذ معناه.

رسم "رمضان حمود" الظلام والليل والدجى لوحة الجزائر عندما كانت تئن تحت ويلات التخلف والاحتلال، تحت سيطرة المحتل الفرنسي الظالم، فهذه الألفاظ كانت تعبر عن الهموم والأحزان التي تلم بالشاعر.

والليل في الشعر العربي رمز للشر، رمز للغرقة والظلم والغربة والقهر، يمثل المتاعب والمآسي والمعاناة لأن العدو يتستر تحت ظلامه ليتمكن.

---

[1] المصدر نفسه، ص 160.

[2] ابن منظور، لسان العرب، ص 101.

[3] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ص 100-175.

ونجد في قصيدة «أهلا وسهلا بالنبي محمد» استخدامه لكلمة الليل فيقول:

والليل يبعث في النفوس مهابة ويبشر الولهان قرب مهابته

ورمز الليل في هذه الأبيات يدل على اقتراب الفرج وإزالة الهموم فرمضان حمود استخدم كلمة الليل في آخر القصيدة ليدل على انتهاء المتاعب والآلام والفرج.

وفي نموذج آخر يقول:

بكيت عليها رحمة وصبابة وإني على ذلك البكا غير نادم

ذرفت عليها أدمعا من نواظر تساهر طول الليل ضوء الكواكب

وجاء استخدام كلمة "الليل" هنا كرمز للحزن وطول المتاعب وكثرة الهم "فرمضان حمود" هنا يبكي حال شعبه وما آل إليه جراء ما يفعله به المستعمر الفرنسي.

مثل قوله أيضا:

بزغت شمس، ولست بجانبي أرى الصبح ليلا والبياض سوادًا

في هذا الموضع كذلك يرمز الليل على الحزن والهم والشقاء.

أما كلمة الظلام فجاءت في قوله من قصيدة «نعم الجدود ولكن بئس ما تركوا»:

ليت هل ينهض الكلام بقوم لم يقدر هداهم إمام

رب إن الهدى هداك وأيا تك نور بها يزول الظلام

جاءت كلمة الظلام كرم للهموم وأن الهدى هو بمثابة أية يزول بها الظلام وأن الشعب كان يعيش تحت يد المستعمر الفرنسي في هذه القصيدة نجد الشاعر يدعوا شعبه بالنهوض والتخلص من المحتل الذي شبهه بالظلام.

وفي كلمة «الدجى»:

جاء قوله:

مالي شعبي الكئيب بات حزينا يرسل الدمع تارة والأنينا

بات يشكو الهوان والليل داج مثل خط الشقي والبائسينا

يدل رمز الدجى في هذه الأبيات أن الكئيب بات أو قضى الليل وهو حزين ودلالة استخدامه (والليل داج) أي دليل شديد السواد بدون غيم ولا نجوم وهو دلالة على ما يعانيه الشعب الجزائري من ويلات المستعمر الفرنسي الغاشم.

ظلت الظلمة كما الليل رمزا للحزن والشقاء في معظم قصائد "رمضان حمود" بل ظلت رمزًا لتاريخ أسود لا تحسد عليه، وأضاف لهما الدجى الذي جسد من خلاله الرمز نفسه بحيث كان بارز في كل قصائده.

واستعمال له لكلمة الدجى في قصيدة:

بكيت عليهم – لا أبا لك فالبكا طبيب يبل الصدر عند المصائب

بكيت فلم يجد البكاء عليهم فلون الدجى يبدوا غير حائل

رمز الدجى في هذه الأبيات له دلالة على استمرار المصائب والشقاء والشاعر نجده استخدم (لون الدجى يبدوا غير حائل) هذه العبارة ليصف لنا دوام حال وهنا لمس نزعته التشاؤمية.

2-الرمز التاريخي:

عرف الشعر الجزائري المعاصر في فترة السبعينات وبعدها هذه الميزة الفنية، وهي توظيف الرموز التاريخية والتي تضم الرموز الدينية والتراثية، وأسماء الشخصيات التي كان أثر بارز في تاريخ الإنسانية والأماكن التي اقترنت بأحداث عظيمة في التاريخ، ولكن غلب عليها استدعاء التراث الديني من القصص الأنبياء والشخصيات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم التي أضفت على الصورة الشعرية طابعا من الحيوية والأصالة.

2-1 رموز الشخصيات الإسلامية والأدبية:

يتجلى الرمز التاريخي أيضا باستحضار شخصيات ومواقف من التاريخ الإسلامي قصد إعطاء المفارقة بين الأمس وانتصاراته واليوم وانكساراته في نص "رمضان حمود":

فيقول:

ألا جددوا عصرًا منيرًا لشعركم فسلسلة التقليد حطمها الزمنُ

وسيروا به نحو الكمال ورمموا معالمه حتى يصافحه البدرُ

كما كان من قبل الرشيد وبعده فتلك عصور الشَعرُ حف بها النظرُ

نجد "رمضان حمود" استخدم شخصية (الرشيد) في قصيدته كرمز، لاستحضار المكانة التي كانت عليها العرب قديما في العصر العباسي في فترة خلافة هارون الرشيد حيث سميت تلك الفترة "بالعصر الذهبي" عرفت العرب آنذاك تطورات في مختلف المجالات الأدبية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية فالشاعر استشاده برمز الرشيد لتذكير بأن الأدب شهد في فترة خلافة الرشيد تطورًا كبيرًا نظرا لكون الخليفة وكبار رجال دولته يصلون أهل العلم والدين بالصلات الواسعة و ويبذلون لهم الأموال تشجيعا لهم، وكان الرشيد نفسه يميل إلى أهل العلم والأدب والفقه ويتواضع لهم حتى إنه كان يصب الماء في مجالسه على أيديهم بعد الأكل.

أنشأ الرشيد "بيت الحكمة" وزودها بأعداد كبيرة من الكتب والمؤلفات من مختلف بقاع الأرض كالهند، فارس، الأناضول واليونان.

فاستدعاء مثل هذه الشخصيات هي في الحقيقة محاولة لقراءة واقعنا العربي، لنعرف من خلال هذه المقارنة بين الماضي والحاضر مقدار الخلل الذي أصاب الأمة في حاضرها وما يمكن استلهامه من تجارب الماضي حلولا لمشاكله المشابهة لمشاكل الأجداد.

ومن الرموز التاريخية التي وظفها "رمضان حمود" في شعره شخصية "الرشيد ليتوحد بها ويجعلها قناعة.

2-1 الشخصيات الأدبية:

ومن الرموز التي استخدمها "حمود رمضان" هو استحضار الشخصيات الأدبية فنجده يتفاعل ويساير الأحداث التي تحدث في تلك الفترة نضرب مثالا على ذلك قصيدة « شلت يد الجاني » التي نظمها حين سمع بالسطو الفظيع على كرامة الأستاذ "عبد الحميد بن باديس" من قبل المحتل يقول:[1]

عش سالما عبد الحميد من البلا قد خابت الأنذال وهي كتائب
عش كالهلال سماؤه وعلوه والكل حولك أنجم وكواكب
عش سائرا نحو الأمام ودم ولو هطلت عليك مصائب ونائب
عش ناصرًا لك وراع ذمامه حتى تتم ما عليه تطالب

وفي موقع آخر نجده يستذكر شخصية إبراهيم أبو اليقظان أحد رواد الصحافة الوطنية الإصلاحية في الجزائر هنأه فيها على صدور جريدته "وادي ميزاب".

فيقول:[2]

إليك جئت أبا اليقظان بالعجل والقلب نحوك مملوء من الأمل
إليك جئت بشعر طاب مصدره أملاه لي واجبي مذ حطه عملي
أبرزت "وادي ميزاب" للوجود بُدا كغداة زينب بالحلي والحلل
أيقظت شبابه، فالله ناصركم من بعد ما قد رضى بالذل والفشل

استخدم "رمضان حمود" أبا اليقظان كرمز للشخصية الدبية التي عملت على إيقاظ الشعب الجزائري وتحرص على التغيير والثورة على الواقع ونبض المهانة والخضوع والتخلف وهذا من خلال قلمه وجريدته التي سماها وادي ميزاب.

---

[1] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 200.

[2] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 53.

وفي نفس السياق نجده يرثي "الحاج عمر بن داود بزملال" أحد أبرز عناصر الحركة الإصلاحية في وادي ميزاب فيقول: من قصيدة «يسعى الفتى وسرور العيش يخدعه»[1].

لقد غدا عمر، تحت الثرى عدما كأنما لم يكن، والموت فقدان
لقد غدا عمر، والقبر يغمره كأنه قبل لم يأوه بنيان
دعاء ربي فلبى دعوة عظمت وجاد بالنفس حينا وهو جذلان
يا راحلا بقيت فينا مآثره قد فزت لله أنت اليوم جبران

جعل "رمضان حمود" عمر كرمز أدبي يستحضر مآثره في قصيدة كاملة له، وإن استدعاء بعض الشخصيات الأدبية وتوظيفها في نص معاصر يهدف بالأساس إلى معالجة قضايا تتعلق بالحرف والكلمة والأدب بشكل عام، إذ نجد كثيرًا من شعراءنا من وظف شخصيات مثل المتنبي وعنترة بن شداد، أمرئ القيس، وأبو فراس الحمداني... إلخ وغيرهم من الرموز القامات الأدبية، استدعاء الشخصية الأدبية وتفرغ من محتواها الرمزي التاريخي، وتشحن بدلالة مغايرة تماما يعمد إليها الشاعر قصد تعرية الواقع الأدبي إجراء مقارنة بين البارحة واليوم على أنه من الملحوظ أن الشخصيات التي حظيت بالقدر الأعظم من اهتمام شعرائنا المعاصرين هي تلك التي ارتبطت بقضايا معينة، وأصبحت في التراث رمز لتلك القضايا وعناوين عليها[2].

وتوظيف "رمضان حمود" لشخصية عمر، التي هي شخصية أدبية يعتبر كرثاء له عند موته، إذ لا نكاد نلمس أي حالة أو علامة توحي أن الشاعر أسس رمزا من خلاله موت "الحاج عمر بن داو بزملال" بصمت كأنه لم يعمر أو يكن من قبل واستحضار مثل هذه الشخصيات دليل قاطع يبرز من خلالها الشاعر انتمائه إلى موروثه الأدبي.

كان التاريخ منبع استلهام يلجأ إليه الشعراء المعاصرون، لتوليد المفارقة التصويرية بهدف إبراز التناقض الحاد بين روعة الماضي وتألقه وازدهاره وبين ظلام الحاضر وفساده وتدهوره.

---

[1] المصدر نفسه، ص 183، 184.

[2] علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص 49.

فالشاعر "رمضان حمود" كغيره من الشعراء المعاصرين والفلسطينيين الذين استلهموا أحداث التاريخ وشخصياته وجعلوا منها نسقا بنائيا، ونسجيا إبداعيا، مندمجا في شبكة العلاقات الدلالية التي ينتجها النص الشعري.

لقيت الروافد التاريخية اهتماما كبيرًا من قبل الشعراء المعاصرين بحيث لا تكاد تخلو قصيدة من قصائدهم من تلك المضامين التراثية فالشاعر "رمضان حمود" قد أفاض في هذا المجال باستعمال تقنيات التضمين والاقتباس من التراث العربي ليكسب العمل أصالة وشكلاً رمزيا داخل إبداعه الشعري، فهو كغيره لم يقف عند حدود المدونات التاريخية، بل تجاوزها إلى ما هو أبعد منها أسلوبها السردي حيث اختار منها مناطق مشعة ومضيئة تنبض بالحيوية وأعاد صياغتها وخلقها من جديد بشكل يتناغم مع تجاربه المعاصرة ويتجسد في قصيدته « الله أكبر نجم العرب قد سطعا »، التي أنشأها في جلالة الملك "ابن السعود" الإصلاحي في محاربته للبدع والخرافات وكل ما يسيء للدين الإسلامي الحنيف وقد كان معجبا بالطائي أبي تمام متأثر بقصيدته فتح عمورية فبدت ظلال هذه القصيدة على قصيدة "رمضان حمود" فيقول:[1].

الله أكبر نجم العرب قد سطعا	وبات دين الهدى في الأرض مرتفعا
فتح من الله والنصر المبين أتى	فحقق الله آيات بها صدعا
في الشرق قاطبة سر الحياة نما	وكان فيما مضى بالذل مقتنعا
في كل ناحية، نار مؤججة	تحرق الجهل والإرهاق والبدعا
في كل ناحية ليث النهوض يدا	مصارعا صدمات الدهر، مندفعا

يسمي الشاعر قصيدته « بنجم العرب قد سطعا » المستوحاة من قصيدة فتح عمورية بحيث نجده قد أعاد صياغة حادثة فتح عمورية وأسقطها على شخصية إصلاحية، استخدم حادثة فتح عمورية كرمز تاريخي أراد أن يعيد صياغته في عصره، ليذكر ببطولات تاريخية عظيمة.

[1] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 53

3-الرمز الديني:

"رمضان حمود" من الشعراء المحافظين، حيث نشأ في بيئة محافظة ومتدينة بتعاليم الدين الإسلامي ونجد هذا جليا في أشعاره كلها، استلهم "رمضان حمود" رموزه من التراث الديني الإسلامي وما يتعلق بحياة (محمد صلى الله عليه وسلم)، حيث استخدم رمز شاملا للإنسان العربي، سواء في انتصاراته وبطولاته، وإلى جوار هذه الدلالة شاعت دلالات أخرى في توظيف شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، من ذلك التمرد على الظلم وحمل لواء النضال في سبيل الحق والخير الإنساني حيث كان الشعراء يتحرجون من التعبير بشخصية الرسول أو اتخاذها قناعا أو ينسون لأنفسهم العنان في تأويل ملامحها وانتحالها لأنفسهم.

وظف "رمضان حمود" شخصية (محمد صلى الله عليه وسلم) التي انفرد بها القرآن الكريم من خلال توظيف النص القرآني تارة وتوظيف اسم النبي صلى الله عليه وسلم فيقول في قصيدته «أهلا وسهلا بالنبي محمد»[1].

يا قوم أحمد أنتم فخر للورى وهداته، فخذوا الورى بزمامه
سيروا على سنن النبي محمد وأجنوا الفضائل من سما أحكامه
ولا تمهلوا تاريخه، فسطروه نور الفؤاد، ويسلم لسقامه
إن الرسول مناركم لا ينطفى في صبره نور في إقدامه

"رمضان حمود" يستذكر صفات خير الخلق والمرسلين «نبينا محمد صلى الله عليه وسلم» ويجعلها كرمز ديني يريد الشاعر بهذا التوظيف أن يهتدي شعبه بأخلاق النبي وسننه وفي نفس السياق نجد قصيدته « بماذا تحيا البلاد » فيقول:[2]

ثم صونو بما لديكم دينا كان دين الإله دين ميتا
وارجعوا للكتاب فهو ضياء وسناء ومرشد الحائرين

[1] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 189.

[2] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 160.

وإلى سنة الرسول المفدى من أتى غيره لأمسى دفينا
فهو دين الرقي دين طبيعي لم يخالف شرائع الكون فينا
ما بلغنا الحضيض إلا بريغ وكذا الضعف بالتمرد يبقى
لا يعيش الإنسان إلا بدين أو نظام وما عدا فهو يشقى
هل نرى الدين ما يقولون زدرا ليس دين إلا له رقصا وفسقا

في هذه القطعة نجد "رمضان حمود" يدخل أيضا اسم النبي والدين الإسلام كرمز ديني يدعوا به الشعب الجزائري لاقتداء به ونهج تعالم الدين الإسلامي وهذا بعدما تفشى الجهل والتخلف ودخول صفات جديدة ودخيلة على ديننا.

ثالثا: دلالة اللون في شعر رمضان حمود

1-اللون الأحمر:

يعتبر "رمضان حمود" من الشعراء المعاصرين الذين كان تأثرهم بالطبيعة بارزا في كل قصائدهم فنجد رمضان حمود استخدم الألوان وفقا لما تقتضيه الطبيعة ووصفها.

يقول وهو يصف لنا جمال الطبيعة:[1]

انظروا إلى الكون البديع بنوره وظلامه وسكونه الروحاني
ونسيمه وهبوبه ومياهه وخريرها وجماله الفتان
وسحابه بسمائه متقطعا عن الغروب وهو أحمر قان
متشتتا كالفلك في مساءه فكأنه قطع من المرجان

نجده في هذه القطعة الشعرية استخدم اللون الأحمر لتصوير مشهد غروب الشمس فهي لحظة حزينة بحيث هذه اللحظة تحمل عدة دلالات وإيحاءات فهي تخبرنا أن لا شيء يدوم وأن

[1] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 180.

أحوالنا تتغير من حالة إلى حالة، ربما في هذا المشهد يتمنى أن يتغير حال وطنه من الاستعمار إلى الاستقلال والحرية.

2-اللون الأسود:

جاء اللون في قصائد "رمضان حمود" بالمرتبة الأولى من حيث وروده فقد تكرر عدة مرات، وهذه المساحة الواسعة التي أحدثها اللون الأسود في شعر رضان حمود يمكن أن تعود إلى عدة دلالات أولها ما عناه رمضان حمود في بلده من تعب وتضييق، ثم رحلته التعليمية إلى تونس ومرضه إذ لم تعد للآمال في قاموسه مفردات يمكن التشبث بها امام استعمار أدمى قوافيه وأسطره الشعرية إن ما عانته الجزائر من ويلات المستعمر جعل من "رمضان حمود" قصائده تتسم بنوع من السواد وألوان المعاناة التي تركت سمات لا يغفل عنها أي قارئ لأشعاره.

يرتبط اللون الأسود بالموت والحزن غالبا «وهو أغم الألوان، وهو نقيض الأبيض، يمثل الظلام الكامل، وانعدام الرؤية، وعد رمزا للألم والخوف من المجهول والعدمية و....»[1].

واللون يستمد دلالاته الذي وظف فيه لأن السياق وحده الذي يحدد وظيفة اللون وفاعليته.

وفي قوله من قصيدة « أغنية الأم لابنها المسافر»:

غدا عندكم الفجر تصبح نائيا فتترك هما بيننا وحداد

إذا بزغت شمس، ولست بجانبي أرى الصبح ليلا، والبياض سوادا[2].

السياق الذي جاء فيه اللون الأسود دال على حالة النفسية التي تشعر بها الأم عند نهوضها ولم تجد ابنها فيتحول صباحها إلى مساء ويتغير اللون الأبيض إلى الأسود وهي صورة حزينة كئيبة والحالة الشعورية لأم شديدة الحزن على اغتراب ابنها وتحول اللون الأبيض إلى الأسود، يدل على غلبة اللون الأسود على الأبيض وشدة وضوحه وسيطرته، فالنقيض يبرز بنقيضه، فالأسود يتضح من خلال مجاورته للون الأبيض والقلب بين اللون ونقيضه يجعل اللون الأخير

---

[1] ينظر: أحمد مختار، اللغة واللون، ط1، عالم الكتب القاهرة، 1983، ص 186.

[2] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص 190.

يحتل مكانة كبيرة، يدل على نفسه الشاعر التي يعبر عنها بهذا القلب والتحول، بهذا التحول يعكس الحالة النفسية التي تعيشها الأم.

وفي قوله أيضا من قصيدة « دمعة حارة في سبيل الأمة والشرف »:[1]

بكيت عليهم – لا أبا لك فالبكا طبيب يبل الصدر عند المصائب

بكيت فلم يجد البكاء عليهم فلون الدجى يبدو غير حائل

جاء توظيف اللون الأسود في هذا السياق ليدل على دوام المصاعب والشقاء ومدى شدتها فدوام لون الدجى يوحى بالحزن وفقدان الأمل.

3-اللون الأبيض:

البياض ضد السواد، اليد البيضاء التي لا ثمن، وقولنا فلانة بيضاء دال على النقاء من الدنس والعيوب والأبيض رمز للنقاء والوداعة والبراءة، وإلى جانب هذه المعاني الإيحائية للون الأبيض فقد اتخذ دلالات سلبية فقد ذب العرب في مجال الشيب، ذلك أن ظهور الشيب نذير يدنو الأجل وتولي الشباب ونجد رمضان حمود استخدم اللون الأبيض في دلالات عدة منها:

في قصيدة «جمال الكون وبدائعه»:

انظر إلى الكون البديع بنوره وظلامه وسكونه الروحاني[2].

وفي قصيدة آخر بعنوان: «شلت يد الجاني» فيقول:[3]

عشت سالما عبد الحميد من البلا قد خابت الأنذال وهي كتائب

عشت كالهلال سماؤه وعلوه والكل نحوك أنجم وكواكب

وفي قصيدة يقول:

---

[1] المصدر نفسه، ص 80

[2] محمد ناصر، رمضان حمود حياته، وآثاره، ص 65.

[3] المصدر نفسه، ص 50.

ذرفت عليها أدمعا من نواظر تساهر طول الليل ضوء الكواكب

إن استخدام "رمضان حمود" كلمات توحي باللون الأبيض في هذه الأبيات تمثلت في: (بنوره، كالهلال، أنجم، كوكب، ضوء الكواكب) كلها لها دلالة باللون الأبيض.

فاللون الأبيض في هذه القصائد دال على الخير والسمة الغالبة لمعنى بياض ارتباطه بالنور والخير، فلون الملائكة أبيض، وكذلك حور العين وصفة الأنبياء، وصفة من أنعم الله عليهم بالرحمة والجنة وجوههم بيضاء[1].

وفي دلالة أخرى لتوظيف اللون الأبيض ما نجده في قصيدة:

وقدما رأيتم الذل كفرا عن أمرتم فما عليكم سلام

سقط الخصم تحتكم مستريحا من أمور يشيب منها الغلام

يرمز الشيب في هذه الأبيات على الكبر وكثرة الحزن والمتاعب.

4-اللون الأخضر:

كثر ورود اللون الأخضر في شعر رمضان حمود وشغل مساحة واسعة وتكرر عدة مرات ويرجع ذلك إلى أمرين:

1-الطبيعة الخضراء التي تمثلها غابات الممتدة في بلد "رمضان حمود" غرداية.

2-ارتبط اللون الأخضر بالأمل، إذ أن أهمية اللون الأخضر من خلال ارتباطه بالأمل والتفاؤل والعطاء والجمال والبهجة والأخضر من أكثر الألوان وضوحا في الدلالة فهو لون الخصب والخضرة والنماء وهو رمز ذات التجدد، فهو لون الشجرة ويرتبط بالقول وبالحدائق، ولهذا فهو مرتبط بهدوء الأعصاب[2].

---

[1] الزواهري محمد هزاع، اللون ودلالته في الشعر، ط2، دار حامد للنشر والتوزيع، 2008، ص 78.

[2] محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب – عن الجاهلية ودلالتها، ط1، دار الفرابي، بيروت، 1994، ص 200.

يقول رمضان حمود في قصيدته « جمال الكون وبدائعه »:[1]

وسحابه بسمائه متقطعا عند الغروب وهو أحمر قان

متشتتا كالفلك في إمسائها فكأنه قطع من المرجان

وجباله المرساة فوق متونه تبدي جليا قوة الرحمن

ونباتها المخضر مثل زبرجد يزهو بزو الروح والريحان

رسم رمضان حمود صورة لجمال الكون وبدائعه، كما كان نباتها مخضر مثل الزبرجد وهو نوع من أنواع الأحجار الكريمة ووجه الشبه بينه وبين النبات اللون فكلاهما ذات اللون الأخضر الخلاب فهو لون يثير إعجاب كل من يراه واللون الأخضر في توظيف رمضان حمود في هذه الأبيات يرمز على الحياة والجمال وصورة لأمل والخير.

(1)

خلاصة الفصل:

في نهاية هذا الفصل الذي تناولت فيه الجانب التطبيقي من البحث وتوصلت إلى:

- أن "رمضان حمود" من الشعراء المعاصرين الذين تعاملوا مع اللغة تعاملا خاصا وجديدًا
- أما في خصوص الصورة الشعرية فنجده أولى اهتماما كبيرا بها فالغموض ارتبط بمدى إجادة الشاعر في توظيف الصورة الشعرية التي تحمل بعدًا دلاليا وإيحاء.
- توظيف الرمز في قصائد "رمضان حمود" كان منبعه الطبيعة والتراث الديني.
- الألوان عند "رمضان حمود" شكلت دلالات وإيحاءات مفعمة باللبس والغموض.

الخاتمة

الخاتمة

بعد نهاية هذا البحث الذي تناولت فيه ظاهرة الغموض في الشعر عند "رمضان حمود" أحد أقطاب الأدب الجزائري ومن النتائج التي توصلت إليها ما يلي:

- ظاهرة الغموض هي ظاهرة فنية لازمت الشعر العربي منذ القديم وتجددت وبرزت في العصر الحديث، وأصبحت أحد مرتكزات العملية الإبداعية بحيث اتصفت معظم تجارب الشعراء المعاصرين بالغموض نظرا لتأثرهم بالواقع الحضاري، وانفصال الشاعر عن الواقع المادي.
- ارتكزت المضامين الشعرية عند "رمضان حمود" في حدود: النزعة الثورية، النزعة التجديدية والإصلاحية هذه المواضيع التي دارت حولها جل قصائده.

فالنزعة الثورية تمثلت في كونه رافض وناقم للاستعمار الفرنسي في بلاده وبث روح الثورة فيه.

والتجديدية فقد نادى بها في كل مجالات الحياة: التعليم، التجارة، السياسة، الأدب ...

فـ"رمضان حمود" كانت دعوته ترك القديم والتخلي عن الوزن والقافية وأنهما ليست شرطا في الكتابة الشعرية.

والتجديد عنده ليس مقاطعة القديم كليا، وإنما محاولة إنشاء علاقة بين التراث والجديد.

- ارتكزت ظاهرة الغموض عن "رمضان حمود" على ثلاث: اللغة، والصورة الشعرية، الرمز والإيحاء.
- كان تعامل رمضان حمود مع اللغة تعاملا خاصا وجديدا، فقد تخلى عن القوالب القديمة والصيغ التعبيرية المألوفة، وعرضها بصيغ جديدة تحمل حمولة تعبيرية متجددة فاللغة أصبحت تحمل مفاهيم وتناقضات وصعوبات ما أدى إلى وصف النص بالغموض.

- اعتبر "رمضان حمود" الصورة الشعرية عنصرا مساعدا للشاعر على التصوير بحيث نجد أن الغموض ارتبط بمدى إجادة الشاعر على توظيف الصورة الشعرية التي تحمل بعدا دلاليا وإيحاءات كل متلقي كيف يؤولها.
- توظيف الرمز في الشعر المعاصر هو وسيلة للتعبير ابتدعها الشاعر المعاصر بهدف اثراء لغته الشعرية ويتجلى الغموض عند "رمضان حمود" مادته الإيحائية من مصادر تراثه، وأكثر الرموز حضورا هو الرمز الطبيعي.
- وتتجلى دلالة الألوان عنده بثنائية الحياة والموت.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

أولا. المصادر:

1. أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج(1)، ط1، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2008
2. أدونيس، الآثار الكاملة، المجلد الأول، ط1، دار العودة، بيروت، 1971
3. الجاحظ (أبي عمر بن بحر بن محبوب) الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج 2، ط 1، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1938
4. حواش مصطفى بن بكير، بذور الحياة لرمضان حمود في حلة جديدة وطرح مبتكر
5. أبو الحسن علي بن عبد العزيز الشهير بالقاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، شرح وتصحيح أحمد عارف الزين، د.ط، مطبعة العرفان، صيدا، 1331ه
6. الخليل بن احمد الفراهيدي، معجم العين، المجلد الرابع، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003.
7. الربيعي بن سلامة وآخرون، موسوعة الشعر الجزائري، مج1، من ح (أ) إلى (ز)، دار الهدى، الجزائر،2009.
8. د. صالح خرفي، رمضان حمود سلسلة في الأدب الجزائري الحديث، ط3، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985،
9. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم **ابن منظور**، لسان العرب المجلد 4، د ط، دار صادر بيروت، لبنان 1992
10. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، قاموس المحيط، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986.
11. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمد شاكر أبو قهر، ط 1، دار المدني، جدة، 1991.
12. ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم، المعاني الكبير في أبيات المعالي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، المجلد1، ط1، 1984.
13. المتنبي، الديوان، ط5، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2008

14. امرؤ القيس، الديوان، مج2، تحقيق محمد أبو الفعل إبراهيم، ط5، دار المعارف، 2014.
15. محمد الهادي بوطارن حمود رمضان، شاعر التقليد والتجديد، ط 1، الجزائر، الملكية للطباعة والإعلام والنشر والتوزيع، 2007
16. محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب –عن الجاهلية ودلالتها، ط1، دار الفرابي، بيروت، 1994.
17. محمد ناصر، حمود رمضان حياته وآثاره طبعة خاصة، ط2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985.
18. محمود درويش، الديوان، ط8، دار العودة، بيروت، 1981.

ثانيا. المراجع:

19. إبراهيم الروماني، الغموض في الشعر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1991
20. أحمد مختار، اللغة واللون، ط1، عالم الكتب القاهرة، 1983
21. أدونيس، زمن الشعر، ط6، مزيدة ومنقحة، دار الساقي، 2006
22. الزواهري محمد هزاع، اللون ودلالته في الشعر، ط2، دار حامد للنشر والتوزيع، 2008
23. السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: حسن أحمد، د ط، دار الجيل، د ت.
24. أمحمد مصطفى تريكي، شعرية الغموض، ط2، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، 1980.
25. إيليا الحاوي، العصر العباسي، ج3، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980.
26. إيليا الحاوي، في النقد والأدب، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1950.
27. جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط 2، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، 1983.

28. حبيب مونسي، نظريات في النقد المعاصر، دط، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر، 2007

29. حميدة بنت حفيظ قادوم، دراسات في الشعر الحديث والمعاصر، ط1، دار عيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2018

30. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ط11، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.ت)

31. أبو قاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5، الرائد للكتاب، 2007

32. عبد الحليم محمد إسماعيل علي، ظاهرة الغموض في الشعر العربي الحديث، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2011

33. عبد الرحمان محمد العقود، الإبهام في شعر الحداثة، د.ط، سلسلة كتب ثقافية، عالم المعرفة، الكويت، يناير 1978

34. عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم البيان، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1985

35. عبد الله الركيبي، الشعر الجزائري الحديث، مجلد1، د.ط، دار الكتاب، الجزائر، 1432هـ-2011م

36. عبد المالك مرتاض، قضايا الشعريات، ط1، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، 2009

37. عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1994

38. علي عشري الزايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997

39. عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، ط9، دار الوعي للنشر والتوزيع، 2012

40. محمد العربي، الثورة والدولة والديمقراطية، د.ط، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2011

41. محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ط2، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع،2007

42. محمد مصطفى تريكي، شعرية الغموض في الخطاب النقدي المعاصر بين إشكالية الوعي والوعي المضاد، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان،2014

43. محمد ناصر، الشعر العربي الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1985

44. مريم حمزة، غموض الشعر ومصاعب التلقي، ط1، مؤسسة الرحاب الحديثة، لبنان بيروت

45. مسعد عبيد العطوي، الغموض في الشعر العربي، ط2، مكتبة الملك فهد الوطنية، أثناء النشر، الرياض 19

46. يوسف ناوري، الشعر العربي الحديث في المغرب العربي، ج2، ط1، دار توبقال للنشر والتوزيع الدار البيضاء، المغرب، 2006

ثالثا. رسائل الدكتوراه:

47. حمادة محمد، الغموض في الدلالة أنماطه وعوامله ووسائل التخلص منه في اللغة العربية المعاصرة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، دار العلوم القاهرة، 1960م

48. عاطف عبد اللطيف، مظاهر الثورة في شعر أبي القاسم الشابي، دراسة فنية، (دم.ن)

49. عمارة حياة، الاتجاه الإصلاحي في شعر محمد العيد آل خليفة، رسالة ماجستير جامعة بلقايد، تلمسان، 2001

50. فضل سالم، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، رسالة ماجستير، كلية العلوم والآداب، جامعة آل البيت، 2004

رابعا. الجرائد والمجلات:

51. أحمد يوسف، هل كانت الثورة يتيمة، مجلة الأدب ع(9)، قسم اللغة العربية، جامعة وهران، الجزائر، (د.ت)

52. جلال عبد الله خلف، الرمز في الشعر العربي، مجلة ديالي، العدد الثاني والخمسون، 2011

53. حفيظة زين، البعد الأدبي عند أبي القاسم سعد الله من خلال موسوعة تاريخ الجزائر الثقافي، مجلة الإنسانية ع(44)، 2015

54. عبد الحميد بن باديس، جريدة الشهاب، أسبوعية جزائرية، ع(82)، 03-02-1927- (93)، 21-04-1927

55. عزت مال إبراهيمي، محمد سالمي، صديقة تاج الدين، مجلة القسم العربي، العدد 24، 2017

56. منصوري عبد الوهاب، شعر الحرية والعاطفة في كتابات صالح خرفي بين نشوة الانتصار وصمت القوافي، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة سيدي بلعباس، د.ت

الملاحق

ملحق

رمضـان حمـود حياتـــه

وآثـــاره وآراء النقـــاد والكتّـــاب

فيـــه

1-نشأته وثقافته:

عرفت الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي العديد من الشعراء الذين حاربوا بأقلامهم ومن بينهم "رمضان حمود" بن سليمان بن قاسم شاعر وكاتب.

ويقول عن مولده في رسالة بعثها إلى محمد الهادي السنوسي "أمطرتني سحابة القدر في بحر الوجود يوم 10 رمضان 1334 هجري 1906م في غرداية ميزاب" «وهي بيئة محافظة عرف أهلها بتمسكهم بالدين»[1] وكان حمود وحيد أبويه فتظافرت جهودهما لتنشئته تنشئة صالحة قوامها العلم والأخلاق [2]

وكان من عائلة مثقفة متذوقة للشعر عندما كان ينام بين ذراعي أمه تنشد له بعض الأبيات الشعرية:

يَا بُنيَّ عِشْ بيْنَ الأَنَامِ عَزِيزاً لَكَ رُوحِي وَمُهْجَتي وَفؤَادِي

بِذِرَاعِي أَحْمِيكَ طِفْلاً صَغِيرًا سَوْفَ تحْمِي إِذَا كَبُرْتَ بِلاَدِي

«كان يمتاز بذكائه، هذا ما زاد والداه اهتماما به، حيث وفرا له كل الوسائل المادية والمعنوية ليتفرغ للدراسة ويتكون تكوينا تعليميا صحيحا»[3]

ويقول رمضان حمود عن بداياته التعليمية: «ترعرعت بين أبوين كريمين إلى أن بلغت السادسة من عمري فأخذني والدي إلى مدينة غليزان، حيث قرأت القرآن الكريم واللغة الفرنسوية»[4]

بعدها التحق رمضان حمود بمدرسه فرنسية وقد شهد له بذكائه واجتهاده ما جعل معلموه يخصونه بالحب والاهتمام وأصبح يضرب به المثل في الاجتهاد وطلب العلم بين أترابه، ومن خلال دراسته في المدرسة الفرنسية اكتشف الفرق بين تعليم أبناء وطنه وبين أبناء المستعمر حيث وضحت له الصورة صورة المستعمر الذي يسعى إلى طمس الهوية الوطنية.

---

[1] محمد ناصر رمضان، حمود حياته وآثاره، ص14

[2] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، ص54

[3] المصدر السابق، ص14

[4] محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ص262

ولما بلغ سن 16 يقول حمود: «بعثني والداي إلى حاضرة تونس لقراءة العلم فمكثت فيها ثلاث سنين أزاول ما يسر لي من علم»[1]

«وانضم "حمود" إلى أفراد البعثة التعليمية التي يترأسها الشيخ أبو اليقظان، والشيخ أبو إسحاق أطفيش، والشيخ محمد الثميني»[2]

«وقضى حمود في المدة التي قضاها بتونس متنقلا بين مدارس السلام والمدرسة القرآنية والمدرسة الخلدونية ثم جامع الزيتونة منارة تونس»[3]

الذي كان مقصدا للعديد من الطلاب الجزائريين، درس النحو والمنطق، والعلوم الإسلامية، على يد شيوخه، درس حمود فنون الخط العربي وملأ قريحته شعرا ونثرا، وتلقى كذلك بعض الدروس في مبادئ العلوم الطبيعية من الجغرافيا، تاريخ، وتشريح وهندسة، وفي العلوم العربية من نحو وصرف ومنطق وبلاغة وأصول»[4]

وكما شارك في الأندية الأدبية وفي الندوات التي كان الطلبة الجزائريون في تونس يعقدونها حول القضايا الوطنية لبلدهم، حيث كونوا جمعية أدبية وطنية وألحقوا بها مكتبة لكن التقاليد الجزائرية التي كانت تحتم على الشباب التزوج مبكرا حرمته من أن يستزيد علما، «ومنذ عودته إلى وطنه ساهم في الساحة الأدبية والسياسية حيث انخرط في العمل الإصلاحي من خلال النشاط في الجمعيات والصحافة الوطنية من بينها جريدة الشهاب للشيخ عبد الحميد بن باديس، وواد ميزاب لأبي اليقظان. أصيب حمود بمرض السل الخطير الذي انهش جسده منذ كان طالبا بتونس»[5] لتصعد الروح إلى بارئها في مسقط رأسه غرداية.[6]

وتوفي في 15 ديسمبر 1929 وعمره لا يزيد عن الثلاثة والعشرين سنة.

---

[1] المرجع السابق، ص262

[2] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، ص 16

[3] ينظر الربيعي بن سلامة وآخرون، موسوعة الشعر الجزائري، مج1، من ح (أ) إلى (ز)، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص661

[4] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص17

[5] المصدر نفسه، ص17

[6] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، ص67

قالت مجلة الشهاب الجزء الثاني عشر/ يناير 1930

«نعت إلينا رصيفتنا الإصلاح الغراء نبأ وفاة الشاعر النابغة، والأديب الفتي، والمصلح الوطني، فوقع علينا ذلك النبأ الوقع المؤلم حتى كأنما بتر عضو من جسدنا، وأظلم أمامنا قسم كبير من الجزائر كنا نعلق إنارته على جده وعمله وإخلاصه، وأعظم المصائب ما أثر في مستقبل الأوطان وأقدح الرزايا ما أضعف قوة الأمم.

فنحن –والحزن يأخذ منا كل مأخذ–نعزي فيه الملة والوطن والأدب، سائلين له الرحمة والرضوان ولآله الصبر والسلوان.[1]

تلك هي الدمعة السخيمة التي تلقت بها مجلة الشهاب نبأ وفاة شاعرنا فقيد العشرين من عمره وتلك هي الآهة الجريحة تصعدت مؤبتة أنفاسا متقدة انطفأت في ريعان اتقادها وحيويتها.

لقد تمثل الفقيد وطنه حرا مستقلا، وهام به في الدنيا للخيال موطنا للعزة والكرامة فلم تمهله المنية ليعيش أفكاره وآماله واقعا ملموسا كما يعيشه زملاؤه ومعاصروه من الشعراء الجزائريين»[2]

2-آثـــــاره:

توفي رمضان حمود وهو في أوج عطائه وريعان شبابه، كان حمود شاعرا وناثرا ترك وراءه إنتاجا محترما، العمر الحقيقي لإنتاج رمضان لا يتجاوز الأربع سنوات فبين البشرى بالشاعر الواعد، نشر سلسلة مقالاته عن حقيقة الشعر وفوائده والترجمة وأثرها في الأدب في مجلة الشهاب سنة 1927، ثم نشر كتابه بذور الحياة سنة 1928، وقصته الفتى سنة 1929، إلى جانب القصائد التي نشرت في جريدة وادي ميزاب وغيرها من الدوريات وقدم قد الفتى إلى قراء لهذه الأبيات المعبرة عن شخصية الشاعر:

جهودك يا فخر العروبة عبرة لمارنة في الخافقات تقام

ستبقى على مر الدهور منارة علم يعلم لا يعتريه ظلام

---

[1] الإصلاح التي أصدرها الشيخ "الطيب العقبي" في بسكرة وذكر الزركلي في الأعلام ج3 أن العدد الذي نعى رمضان من الإصلاح صدر في رمضان 1348هـ

[2] صالح خرفي، رمضان حمود، ص71

ففي سعيك المبرور خدمة أمة عليها خطوب يرتمين جسام

حياتك سر سوف يظهر كنهها وفيها لسير الناشئين نظام [1]

2-1-شعره:

نشر رمضان حمود إنتاجاته في مجله الشهاب ووادي ميزاب وشعراء الجزائر في العصر الحاضر لمحمد الهادي سنوسي وهو ما حادت به قريته مدة أربع سنوات حيث لا تتعدى 30 قصيدة ومقطوعة شعرية[2]

وفيما يلي حصيلة ما جمعته هذه الدراسة من شعر (قصائد ومقطوعات) لحمود:

1) شعبي الكئيب 2) الرجل بنفسه 3) دمعة حارة في سبيل الأمة والشرف 4) اركضوا نحو الأمام 5) بين جدران السجن[3] 6) إليك أيها الرجل العظيم!! 7) أيها الناس اسمعوا وعوا 8) فحياة العز بالعلم الثمين 9) موت الغريب آية في البؤس 10) نغمة الشباب 11) في سبيل الحق 12) جمال الكون وبدائعه 13) الله أكبر نجم العرب قد سطعا 14) الحرية 15) علام نلوم الدهر 16) يسعى الفتى وسرور العيش يخدعه 17) الدهر كفيل بتنبيه المغرورين 18) اطلبوا العزّ وعيشوا كرماء 19) يا قلبي 20) وحي الضمير 21) أهلا وسهلا بالنبي محمد 22) الفتى 23) أغنية الأم لوليدها 24) أغنية الأم لوليدها المسافر 25) أغنية الأم لابنها العائد 26) الصراع النفسي 27) الخيبة الكبرى 28) همتي 29) شعري وشعوري وحديث ضميري 30) نعم الجدود ولكن بئس ما تركوا 31) إلى شبابنا المتنورين 32) شلت يد الجاني 33) الجديد والقديم 34) أقسام الناس 35) وطني بالنفس تفدى 36) هل نهضة لقومي 37) نسير وراء الغافلين 38) أتوا بكلام لا يحرك سامعا [4]

2-2- نثره:

2-2-1-بذور الحياة

---

[1] صالح خرفي، رمضان حمود، ص73

[2] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، ص67

[3] محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ص266-271

[4] عبد الحميد بن باديس، جريدة الشهاب، أسبوعية جزائرية، ع(82)، 03-02-1927-(93)، 21-04-1927، ص08

يعتبر باكورة إنتاجه الأدبي ألفه وطبعه في تونس سنة 1928 ويشتمل على خواطر وأفكار كتبها الشاعر وهو يعيش تجربة الحياة بكل تجلياتها الوطنية والأدبية والاجتماعية.

2-2-2-الفتى

هي سيرة ذاتية لحياته من جزئين ظهر الأول منها سنة 1929 ولم يمهله القدر لاستكمال الجزء الثاني [1]

2-2-3-المقالات

1) حقيقة الشعر وفوائده 2) الترجمة وتأثيرها في الأدب 3) دعاة التجديد 4) الإسلام في القرن العشرين 5) العادات الفاسدة 6) الله أكبر 7) الغناء الفاسق وتأثيره على الأخلاق

2-2-4-الخواطر

1) إسلاميات 2) أخلاقيات 3) وطنيات 4) اجتماعيات 5) أدبيات [2]

آراء النقاد والكتاب

من أهم ما قيل عن رمضان حمود:

1-كان الشيخ بن باديس يصفه في مجلته الشهاب بالفنان والأديب والوطني [3]

2-يرى أبو القاسم سعد الله أن حمود كان له أسبقية التمرد على الشعر العربي في الجزائر حيث كتب حمود نوعا من الشعر الحر أو المتحرر [4]

3-إن حمود كما ذهب إلى ذلك "صالح خرفي" أول من تطرق إلى الغزل السياسي من الشعراء الجزائريين من خلال قصيدته الحرية التي نشرت في جريدة وادي ميزاب سنة 1928 [5]

---

[1] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، ص67

[2] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ط2، المؤسسة، ص209-307

[3] أحمد يوسف، هل كانت الثورة يتيمة، مجلة الأدب ع(9)، قسم اللغة العربية، جامعة وهران، الجزائر، (د.ت)، ص138

[4] حفيظة زين، البعد الأدبي عند أبي القاسم سعد الله من خلال موسوعة تاريخ الجزائر الثقافي، مجلة الإنسانية ع(44)، 2015، ص435

[5] ينظر منصوري عبد الوهاب، شعر الحرية والعاطفة في كتابات صالح خرفي بين نشوة الانتصار وصمت القوافي، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة سيدي بلعباس، د.ت، ص298

4-لقد تمثل حمود كما ذهب إلى ذلك الباحث المغربي "يوسف ناوري" الإبدال الشعري من خلال رفضه التقليد الذي سادت فيه الأشكال المعرفة، ومن خلال دعوته إلى إعادة بناء تصور الممارسة الشعرية في اعتبار الدور الحيوي للشعر في الحياة، في صلة ممارسته بالذات الفردية وبفعل الخيال [1]

5-يرى محمد الهادي بوطارن أن المتتبع لشعر حمود يلحظ عليه ذلك المسحة التشاؤمية القائمة المعروفة لدى الشعراء الرومانسيين إلى أن رومنسيته لم تكن فردية أو تتسم بنزعة سلبية تؤدي إلى الهروب من مجتمعه [2]

6-كان حمود كما رآه "محمد ناصر" أديبا ثائرا التحمت الثورة به في جميع أعماله وأقواله وصدر عنها في إنتاجه الأدبي المنوع شعرا ونقدا ومقالة وخاطرة [3]

ملاحظة هامشية

لقد أجريت تقديما وتأخيرا في اسم شاعرنا الفقيد فقد اشتهر بـ "رمضان حمود" وهو نفسه استعمل هذه الصيغة في مقالاته وقصائده ومؤلفاته جريا على الطريقة الفرنسية في تقديم اللقب على الاسم، والأسلوب العربي يقتضي العكس غير أن الشاعر يقدم لنا نفسه في ترجمة حياته في الجزء الأول من كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر بقوله: «اسمي حمود، وأبي سليمان، ولقبي رمضان»

[1] يوسف ناوري، الشعر الحديث في المغرب العربي، ص236

[2] محمد الهادي بوطارن، رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، ص78

[3] محمد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، ص349

الملخص

الغموض ظاهرة فنية لازمت الشعر العربي منذ عصوره المختلفة وخاصة الشعر الحديث فقد اعتمد عليها جل الشعراء في العصر الحديث وجعلوها من مرتكزات العملية الإبداعية، ويرجع السبب في استخدام الغموض في النصوص الشعرية لطغيان الرمز والأسطورة في القصيدة الحداثية، ولتتبع هذه الظاهرة انصبت دراستي حول الغموض عند شاعر جزائري، أحد رواد الشعر التجديدي "رمضان حمود" ومن خلال تحليلي لقصائده حول تجليات الغموض في شعره من خلال لغته وصوره الشعرية، تتراوح بين: التجديد، الثورة، الإصلاح، صور شعره بصور رامزة تدعو للتفسير.

Abstract

Ambiguity is an artistic phenomenon that has accompanied Arabic poetry since its various eras, especially modern poetry. Most poets in the modern era relied on it and made it one of the pillars of the creative process. The reason for using ambiguity in poetic texts is due to the tyranny of symbol and myth in the modernist poem. Algerian, one of the pioneers of renewal poetry "Ramadan Hammoud". Through my analysis of his poems about the manifestations of ambiguity in his poetry through his language and poetic images, ranging from: renewal, revolution, reform, images of his poetry with symbolic images calling for interpretation.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمـــــــة	أ-ج
مدخل: ماهية الغموض	5-16
أولا: مفهوم الغموض	5
ثانيا: الغموض عند النقاد الغربيين	5
ثالثا: مظاهر الغموض في الشعر العربي القديم	7
رابعا: مظاهر الغموض في الشعر العربي الحديث	11
الفصل الأول: المضامين الشعرية عند رمضان حمود	18-40
أولا: النزعة الثورية	18
ثانيا: النزعة التجديدية	23
ثالثا: النزعة الإصلاحية	29
خلاصة الفصل الأول	41
الفصل الثاني: الصورة الشعرية وجمالياتها	42-84
أولا: بين اللغة والصور	43
1-لغة الشاعر	43
2-الصورة الشعرية	45
1-1 الاستعارة	49
2-2 التشبيه	57
ثانيا: جمالية الرمز	68
الرمز	68
1-الرمز الطبيعي	68

2-الرمز التاريخي	74
3-الرمز الديني	78
ثالثا: دلالة اللون في شعر رمضان حمود	80
1-اللون الأحمر	80
2-اللون الأسود	80
3-اللون الأبيض	82
4-اللون الأخضر	83
خلاصة الفصل الثاني	85
الخاتمــة	87
قائمة المصادر والمراجع	90
الملاحق	96
الملخص	102
الفهرس	103